

(مولديات - إسلاميات - إخوانيات - منظومات علمية)

تأليف

العلامة المشارك الأديب

عبد الرحمن بن جعفر الكتاني الحسني

١٢٩٧هـ - ١٣٣٤هـ

جمعه ورتبه وقدم له

الأستاذ الدكتور علي بن المنتصر الكتاني

المتوفى سنة ١٤٢٢هـ



Title: DIWĀN SĀᶜIR FĀS
ᶜABDUL-RAHMĀN BEN JAᶜFAR AL-KATTĀNI
(Poetical Works of
Abdul-Rahman Ben Jaafar al-Kattani)

Editor: Dr. ᶜAli Ben al-Muntaṣir al-Kattāni

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 168

Year: 2006

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: ديوان شاعر فاس عبد الرحمن بن جعفر الكتاني
(مولديات ، إسلاميات ، إخوانيات ، منظومات علمية)

المؤلف: العلامة عبد الرحمن بن جعفر الكتاني الحسني

المحقق: الدكتور علي بن المنتصر الكتاني

الناشر: دار الكتب العلميـــة ــ بيروت

عدد الصفحات: 168

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنــان

الطبعة: الأولى

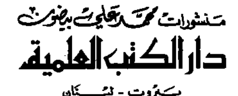


منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعـة الأولى
٢٠٠٦ م ـ ١٤٢٧ هـ



بيروت - لبنان
Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصحح

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وبعد؛ فيسعدني أن أقدم للنشر ديوان شاعر فاس، العالم الأديب المفتي؛ أبي زيد عبد الرحمن بن جعفر بن إدريس الكتاني الإدريسي الحسني، المتوفى عن 37 سنة عام 1334، والذي جمعه له والدنا مفخرة الإسلام، وإمام الدعوة في العالم الغربي، ورائد علمي الطاقة الشمسية، والأقليات، الأستاذ الدكتور علي بن محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني رحمهما الله تعالى.

قال الشيخ الإمام أبو الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني في كتابه "التاج المرصع بالجوهر الفريد في ترجمة الشيخ الإمام محمد الكتاني الشهيد" (1/ 121)، أثناء ترجمته لصاحب الديوان: "بلغ درجة الإمامة في علوم الفقه والحديث والأدب، ومؤلفاته أدل دليل على ما أقول، وشعره الرائع يفاخر به المغرب أئمة الأدب الأقدمين بالأندلس ومصر..ولو عمر لكان أبرز علماء عصره!".

ومن هنا تكمن أهمية هذا الشاعر العالم، وأهمية الشعر الذي كتبه، والذي جاء في فترة حاسمة من تاريخ المغرب، فترة دخول الاستعمار، وفترة الهجرة من البلاد فرارًا بالدين، وهي أمور انعكست في مضامين شعره، فقد عكس ثقافة زمانه، وعكس الوطنية الصادقة، والشوق إلى الهجرة ومقارعة المستعمر، كما عكس الحالة العلمية التي عاش فيها، والقضايا الفقهية التي شغلت عصره.

يتضمن هذا الديوان مولديات كثيرة، تطرقت إلى مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ومدح ذريته الطاهرة، والشوق إلى المدينة المنورة، ولعل أهم تلك القصائد تشطيره لقصيدة ابن جابر الأندلسي التي مطلعها:

هـنـاؤكـمُ يـا أهـل طـيـبـة قـد حـقـا فبالقرب من خير الورى نلتم السبقا

وكذلك ضمنه منظومات علمية، كمنظومته في النسب الكتاني وتراجم أصحابه، والتي فاقت الخمسمائة بيت، ومنظومته في القبض في الصلاة. كما تضمن شعَره الإخوانيات، والتي تركزت في علاقته بالأعلام من أهل بيته، وبأعلام الزاوية المعينية، خاصة شيخها الشيخ ماء العينين الشنقيطي، وتلميذه الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي، والتي تضمنت المدح والرثاء، والرسائل والعتاب، وتكمن أهميتها كذلك في أن جل من كان يراسلهم هم أعلام الوقت في المشرق كالشيخ جمال الدين القاسمي، وفي المغرب كمن ذكرنا وغيرهم.

كما تضمن الديوان، ألغازا فقهية ونحوية، ومقطعات حوت حكما وفوائد تربوية وأخلاقية واجتماعية، لذلك صلح أن يتغنى بأشعاره، وأن تقدم للدراسة في المعاهد العلمية المدرسية والجامعية، كمثال بارز على الشعر - خاصة المغربي - في أوائل القرن العشرين الميلادي، تلك الفترة التي لم تنل حقها من الدراسة والبحث.

ونظرا لموسوعية الشاعر العلمية، وحريته الفكرية، ونزعته الدينية والوطنية الجياشة؛ فقد قدم كل تلك الميزات مادة ثرية لشعره، وذخيرة معرفية وجمالية جعلته مميزا بين شعراء وقته، بل لا زالت بعض أشعاره يتغنى بها في الزوايا، أو تكرر على الألسن.

وقد جمع مولانا الوالد - رحمه الله تعالى ومتعنا برضاه - هذا الديوان من عدة مصادر ذكرها في مقدمته، فأحيى به شاردها، وجمع متفرقها، وأحيى صاحبها الذي لم ينل ما يستحقه من التقدير بعد وفاته، وهو يتضمن عدة مؤلفات لصاحبه، وهي:

- تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي في المدح النبوي.
- الحسام المنتضى المسنون، على من قال: إن القبض غير مسنون.
- الجوهر النفيس في النسب الكتاني ذي التقديس.

ليكون جمع بعض شارد مؤلفات الشيخ عبد الرحمن، والذي فقدت، ولم نعد نقف حتى على بعضها، نظرا لتشتت كتبه، وضياع مكتبته. وقد كان أخبرني حفيده

الفقيه المسن السيد نور الدين بن محمد الكامل بن عبد الرحمن الكتاني، حفظه الله، بأنه ورث مكتبة جده عن والده، وأنه باعها لابن عمه العلامة المدرس المشارك أبي النجيب محمد الفاطمي بن أحمد بن إدريس الكتاني رحمه الله، وإلى الآن لم أتمكن من الوقوف عليها، بالرغم من وقوفي على المكتبة المذكورة، يسر الله كل عسير.

وقد كنت من قبل جمعت للشيخ عبد الرحمن بن جعفر الكتاني كتابا وسمته بـ: "حوليات العلامة عبد الرحمن بن جعفر الكتاني"، كان جمعه من كناشته، ورسائله التي أرسلها لأخيه جد جدنا الإمام محمد بن جعفر الكتاني، وابن أخيه والد جدنا الشيخ محمد الزمزمي الكتاني، وهو نفيس للغاية، أقوم بتحقيقه الآن، يسر الله كل عسير بمنّه وكرمه.

وإن تعجب فعجب لمولانا الإمام الوالد، الذي كان مختصا في الطاقة الشمسية، بل يعد مقعد علمها، وكتبه تدرس باللغة الإنجليزية في مختلف دول العالم خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وفي نفس الوقت كان مختصا في علم الأقليات الإسلامية، بل يعد أول من بلورها كعلم، وكتبه تدرس في هذا المجال في مختلف الجامعات والمعاهد الدينية العالمية، خاصة الجامعة الإسلامية بكراتشي، وفي نفس الوقت - وبالرغم من ثقافته الفرنسية الإنجليزية المحضة - قام بخدمة التراث العائلي، والذي هو باللغة العربية، فأنجز وأفاد، وسبق الفحول، وحمل الراية، بحيث كل عمل في هذا النتاج، وخاصة ما نقوم به نحن ورَبعنا إنما هو من بركات توجيهاته، ونتاج تعليمه وتدريبه، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته مع الأنبياء والمرسلين الأخيار.

وقد كان رحمه الله تعالى جمع هذا الديوان المبارك منذ سنين عديدة، غير أنه شغلته الشواغل عن طبعه، حتى توفي دون ذلك، فوجدت لزاما علي إخراجه، وتهيئته للطبع وإبرازه، لأغنم بذلك الأجر الكثير، وأفرح والدي في قبره، وأفرح عم والد جدي الإمام مولاي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني كذلك، وأفرح كل من كان له به سبب أو نسب.

فقمت بتصحيح الكتاب، وضبط الأشعار، ومقابلتها إن تيسر على أصولها بخط المؤلف، كما قمت بالتعليق إن اقتضى الحال، مع تذييل التعليق بلفظة:

مصحِّح. لأميز تعاليقي عن تعاليق الشاعر، إذ كل تعليق بغير لفظة "مصحح"، إنما هو للشاعر رحمه الله. وقد بقيت بعض الأبيات غير موزونة، وأحسبها لا تزيد على الخمسة إلى العشرة في الديوان كله، فلم أصححها، نظرا لعدم وقوفي على أصولها، وأن تصحيحها يقتضي إعادة صياغة البيت أو الشطر، وهو الأمر الذي لم أجزه لنفسي.

كما قمت بعزو الآيات القرآنية الموجودة بالمتن، وبإضفاء اسم للديوان، وهو: "ديوان شاعر فاس عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: (مولديات. إسلاميات. إخوانيات. منظومات علمية)".

وفي الختام أحب التنبيه أن مؤلف هذا الديوان هو غير جدنا لوالدتنا الإمام علامة المغرب أبي هريرة عبد الرحمن بن محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، المتوفى رحمه الله ورضي عنه عام 1401، صاحب "من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر وجهودهم من أجل الصحوة الإسلامية بالمغرب"، وصاحب: "الأسرة الإسلامية"، وغير ذلك من المؤلفات.

رحم الله شاعرنا، ورحم الله مولانا الوالد، وأسكنهما فسيح الجنات، وبارك في جهودهما، وجعلها لوجهه خالصة، ولا حرمنا أجرهما وفضلهما وبركتهما بمنه وكرمه...آمين.

وكتبه: الدكتور محمد حمزة بن علي بن المنتصر الكتاني

الرباط: 14 جمادى الأولى 1426

الموافق: 22 يونيو 2005.

مقدمة جامع الديوان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، القائل: "إن من الشعر لحكمة"، والهادي إلى سواء السبيل.

أما بعد؛ فإن في المكتبات الخاصة تراثا مهما لآباء وأجداد تركوا أوراقهم لأبناء جهلوها، إما لبعدهم عن الثقافة أصلا، أو لاتجاههم إلى لغة المستعمر وانقطاعهم عن لغة آبائهم وعلوم أجدادهم. وقد قال سيدنا الوالد العلامة الشيخ سيدي محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني أطال الله عمره في إحدى منشوراته: "في بلادنا المغربية كنوز دفينة قد تراكم عليها الغبار طبقا عن طبق". وقد اتّهم المغاربة في الماضي والحاضر بزهدهم في علمائهم وعدم اهتمامهم بتراثهم...

ولقد حظيت ولله الحمد بوجود مكتبات عائلية في كل بيوتنا عند سيدي الوالد وجدي وأعمامي... فيها كنوز للعائلة لا توصف، ووثائق تاريخية فريدة، فكنت بادئ ذي بدء، رغم أني ممن اتجه إلى العلوم العصرية والدراسات الهندسية، أقرأها بدافع حب الاستطلاع، ثم أصبحت أنكب عليها وأتعرف على مخابئها.

فكان من بين الشخصيات العائلية التي لمحت عبقريتها في كتاباتها، ولاحظت كثرة أشعارها: عم جدي العلامة سيدي عبد الرحمن بن جعفر بن إدريس الكتاني، فتاقت نفسي إلى إخراجه من غبار النسيان، وجمع المتشتت من أشعاره في ديوان كامل، وترجمة حياته، حتى لا يضيع تراث علم من أعلام المغرب البررة، وشاعر من شعرائه المجيدين، الذين عاشوا في فترة من فترات تاريخ المغرب الصعبة. وهكذا كان الدافع لتخريج هذا الديوان.

وسأفصل في هذه المقدمة حياة الشاعر ومناخه العائلي والاجتماعي، ومقتطفات من نثره. ثم أعطي وصفا لديوانه مقتضبا، وأصف ينابيع جمعه وكيفية ترتيبه. نطلب من الله التوفيق والسداد، جعل الله كل أعمالنا لمرضاته وعمنا بفضله وإحسانه...آمين.

1. تعريف بالشاعر

ولد سيدي عبد الرحمن بن جعفر بن إدريس الكتاني ليلة الأحد قبيل فجر[1] يوم 28 محرم الحرام عام 1297هـ بدار والده بزنقة الرطل بفاس المحروسة. ولد في بيت اشتهر بالعلم والشرف وخلاصة السلالة النبوية الإدريسية، وترعرع في مناخ دين وعلم وأدب.

فوالده سيدي جعفر بن إدريس بن الطائع الكتاني هو الشيخ الإمام علي الأعلام وشيخ مشايخ الإسلام، وقدوة الأنام، ومرجع الخاص والعام، المفرد الجامع، المشارك في أسباب الفنون، المثابر على إحيائها ونشرها إلى المنون، الصادق في محبة سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان رحمه الله مدرسًا في جامع القرويين ومستشارًا للسلطان الحسن الأول، إمامًا في الفقه والحديث، صنف التصانيف العديدة، وألف التآليف المفيدة.

وأم سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: هي الشريفة الصالحة السيدة فاطمة بنت سيدي أحمد بن أيوب القصري. وكان وحيد أمه وأصغر أبناء والده، بينه وبين والده 25 سنة.

ولد سيدي جعفر بن إدريس الكتاني سنة 1245هـ وتزوج في 8 شوال عام 1365هـ بابنة عمه الشريفة السيدة كنزة بنت سيدي إبراهيم بن محمد الزمزمي الكتاني، فرزق منها بجد والدنا سيدي محمد بن جعفر الكتاني، الإمام الشهير ذي التصانيف العديدة التي تزيد على السبعين، منها كتاب "سلوة الأنفاس" وغيره. والفقيه سيدي الحسين، والسيدة أم الغيث.

وتوفيت السيدة كنزة في 16 شوال سنة 1280هـ فتزوج سيدي جعفر بالشريفة السيدة راضية بنت سيدي محمد بن الطيب الصقلي، فرزق منها بالعلامة الأديب الشاعر الفقيه سيدي أحمد، وبالشاعر البارع سيدي عبد العزيز، وبالسيدة مريم. فيكون لشاعرنا سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني أربعة إخوة، كلهم من العلماء العاملين، وأختان، يكبره كبيرهم سيدي محمد بـ 24 سنة.

نشأ مولاي عبد الرحمن في حجر والديه في عفاف وصيانة ومروءة وديانة، مصانًا من الأغيار، متوّجًا بتاج الوقار. وكان رحمه الله ملازمًا لوالده، بارًّا به كل

البرور، وكان لوالده به اعتناء خاص وابتهاج وسرور. فكان يغني له وهو صغير ويقول فيه هو وأخيه عبد العزيز مداعبا:

إن عبدَ العزيز عندي عزيز وحياتك ربَّنا يا عزيز
بيقين عبد الرحمن الإبريز[2] وأعز وأعلى منه وأغلى
وتقى وللعلم منه تطريز فأطلْ ربِّ عمْره في هناء

قرأ سيدي عبد الرحمن أولا القرآن، ثم شرع في تعلم العلوم محملا لمنطوقها والمفهوم. وكانت قراءته على والده الذي أجازه، وعلى غيره من كبار العلماء كالشيخ ماء العينين الذي أجازه كذلك بالإجازة العامة في العلم الظاهر والباطن، وسيدي أحمد بن الخياط، ومولاي عبد المالك العلوي الضرير، وغيرهم من الشيوخ الأجلة. وأكثر قراءته رحمه الله كانت على أخيه الأكبر سيدي محمد، فقرأ بين يديه في كل ما قرأه القليل والكثير. وقد رقي إلى الرتبة الثالثة من رتبة العلماء في شوال عام 1321، ثم أخذ في التدريس فأجاد وأفاد، كما استفاد. وحرر وهذب ونقح ورتب، مع حسن معرفة بالفقه والحديث والآثار، والنحو والفقه والأدب... وغيرها من العلوم الغزار.

كان لمولاي عبد الرحمن ذكاء مفرط وجودة قريحة وتثبت، ونجابة تامة، وذهن ثاقب، وفهم مصيب وفكر صائب، وكانت له سرعة كشف عند المطالعة، وتوفيق للمظان وحسن خط وضبط، ورواية ودراية وأدب غض. فكان من العلماء المتقين، والأدباء الورعين. وكان ذا حياء ومروءة، ووقار وسكينة، وخلق وأناة، وحب للخير وأهله.

أما وصفه؛ فكان رحمه الله عربي الشكل، أبيض، للطول أقرب، متصل أسوده، قائم الأنف، محوجب، لرقة الأطراف والأسالة.

وقد ألف سيدي عبد الرحمن تآليف رائقة محررة فائقة، منها: حاشية على شروح الأزهري للأجرومية، وتأليف في جموع عبد، وكتاب "كشف النقاب عن موافقة سيدنا عمر بن الخطاب"، وتأليف فيمن أردفه النبي صلى الله عليه وسلم خلفه، وتأليف فيمن بدل صلى الله عليه وسلم أسماءهم من الصحابة. وقد راجع كتب أبيه وأخيه سيدي محمد كما جمع لوالده فهرسته المسماة "إعلام أئمة الأعلام

وأساتيذها بمالنا من المرويات وأسانيدها".

وكان لمولاي عبد الرحمن مراسلات ومناظرات مع أدباء عصره جاءت غاية في البلاغة، كما أن له مراسلات مع أخيه سيدي محمد، ومع ابن أخيه جدنا محمد[3] الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني إبان إقامتهما بالمشرق، أتى فيها بالأخبار المفصلة عن الأوضاع الجارية في المغرب. كما أن له أشعارا جمة هي مضمون هذا الكتاب.

تزوج مولاي عبد الرحمن في سن مبكرة بابنة عمه مولاي أحمد بن إدريس الكتاني فرزق منها بثلاثة أبناء: سيدي محمد وسيدي إدريس وسيدي الطيب. وفي سنة 1321هـ حج أخوه سيدي محمد ومعه ابنه سيدي محمد الزمزمي، جدنا، فقام سيدي عبد الرحمن بمهام بيت أخيه تحت إشراف والده.

وسرعان ما تبدلت العيشة الهنية بالمصائب والأهوال في حياة شاعرنا الخاصة وفي أهله وفي الحياة العامة. فابتدأت المصائب بوفاة والده سيدي جعفر بن إدريس الكتاني، الذي توفي ليلة السبت بعد العشاء بساعة 22 شعبان عام 1323هـ، فذهب إلى الرفيق الأعلى أقرب خلق الله إليه، الذي كانت تربطه به روابط البنوة والعلم، والذي كان يقوم له مقام الصديق والمريد والمعيد. فورث محل والده في نفسه وعطفه أخوه الأكبر سيدي محمد.

غير أن الكوارث لم تكن إلا في بدايتها إذ توفيت في شهر ربيع الأول عام 1324هـ زوجته وابنة عمه وأم أولاده، فتركت له ثلاثة أبناء صغارا: سيدي محمد وسيدي إدريس وسيدي الطيب.

ثم توفي أخوه وصديقه وزميله في الدراسة سيدي عبد العزيز في الساعة الواحدة من ليلة ثالث ربيع النبوي عام 1325 وسنه لم تزد على الثلاثين سنة إلا بثلاثة شهور، فترك يتيمين صغيرين وأرملة في عمر الزهور وهي السيدة فاطمة بنت مولاي أحمد بن إدريس الكتاني أخت زوجة شاعرنا المتوفاة في السنة التي قبلها.

ثم اضطربت الأحوال في المغرب بسبب استيلاء المستعمر الفرنسي الظالم على أطراف البلاد، وتداخله في السلطة المركزية. فعزم أخوه الأكبر سيدي محمد - بعد محاولة منه لإصلاح الأحوال - على الهجرة إلى المدينة المنورة، فترك المغرب بعياله في 17 جمادى الأولى عام 1325هـ. وهكذا بعد أن كان البيت عامرًا والحياة

هنيئة تحت رعاية الوالد، توفي الوالد والأخ والزوجة وتيتم الأولاد وهاجر الأخ الأكبر واضطربت الأحوال في البلاد، وكثر الغلاء وانقلبت الحياة من رغد إلى عناء، ومن غنى إلى فقر، ومن فرح إلى حزن[4].

تزوج سيدي عبد الرحمن بعد وفاة زوجته الأولى بالشريفة السيدة فاطمة بنت سيدي محمد بن الخضر العراقي التي ولدت له بعد ذلك من الأبناء ثلاثة سيدي المهدي وسيدي عبد الله الكامل وسيدي محمد العزيز، ومن البنات السيدة فاطمة.

وفي بحر سنة 1325هـ نجحت الثورة ضد السلطان عبد العزيز، وبايع أهل المغرب عوضا عنه أخاه السلطان عبد الحفيظ، وكان لابن عمة شاعرنا وابن عمه الإمام النابغة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني (وأمه هي السيدة فضيلة بنت سيدي إدريس بن الطائع الكتاني) دور كبير في هذه الأحداث. فاستبشر أهل المغرب خيرا وأملوا في إيقاف تعدي المستعمر الفرنسي وطرده من المناطق المغربية التي استعمرها. فرجع سيدي محمد بن جعفر الكتاني من المهجر بعياله، ودخل فاسا في أواخر شهر شوال عام 1326هـ.

غير أنه سرعان ما تحولت الآمال إلى خيبة، وانقلب الجهاد إلى حروب أهلية انتقامية، وتواطأت السلطة مع العدو، فأدى ذلك إلى محنة أبناء عم شاعرنا، إذ زج بهم السلطان عبد الحفيظ في السجون وقتل كبيرهم الشهيد الشيخ الإمام سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني، ابن عمة شاعرنا، الذي استشهد بعد طلوع شمس يوم الثلاثاء 13 ربيع الثاني عام 1327هـ عن سبع وثلاثين سنة. فأثر ذلك تأثيرا بالغا في كل أعضاء العائلة الكتانية. فعمل أخو الشاعر الأكبر سيدي محمد على تطويق آثار هذه المحنة بالمفاوضة مع السلطان بالتي هي أحسن، ثم عزم بعد ذلك على الهجرة إلى المدينة المنورة. فترك المغرب في هجرته الثانية مع عياله في أول شعبان عام 1328هـ.

وبعد ذلك تتابعت الأحداث بسرعة، فدخل المستعمر الفرنسي مدينة فاس سنة 1329هـ فضاع استقلال المغرب لأول مرة في تاريخه، ووقع السلطان عبد الحفيظ معاهدة الحماية مع الفرنسيين في 11 ربيع الثاني عام 1230هـ، وكان سيدي عبد الرحمن يكتب بتفاصيل الأحداث إلى أخيه سيدي محمد بالمدينة المنورة. وكان دائما يؤمل أن المجاهدين المغاربة سينجحون في إفشال نوايا المستعمر. لكن سرعان

ما تبين لشاعرنا أن تلك الآمال إنما هي أوهام، فعزم على الهجرة بأولاده واللحاق بأخيه في المدينة المنورة سنة 1330هـ. فساعده أخوه بمصروف السفر[5].

لكن معوقات عائلية كانت دائما تؤجل تلك الرحلة. ثم انشغل سيدي عبد الرحمن بمواساة أخيه سيدي الحسين في مرضه الذي توفي منه صبيحة يوم الأربعاء 29 رجب عام 1332هـ، قبل الشروق بمدينة فاس. فأخذ يتأهب للرحيل إلى المدينة المنورة، غير أن الحرب العالمية الأولى قامت فانقطعت السبل وأعيق عن الهجرة. فأصبح شاعرنا في ألم شديد وكدر عميق.

وفي 26 ذي القعدة الحرام سنة 1333هـ سافر سيدي عبد الرحمن من فاس إلى مراكش ونواحيها، فرجع من سفره فاتح صفر سنة 1334هـ شاكيا بقذفة الصدر بسبب سقوطه على صدره من مركوبه الذي قدم عليه من سفره، وبقي كذلك إلى يوم الجمعة 9 صفر حيث توفي في السابعة مساء، وصلي عليه من الغد بعد صلاة الظهر بجامع الأندلس، ودفن بخارج باب الفتوح في قبة سيدي الدراس بن اسماعيل عند رأسه. وكان سنه رحمه الله لا يزيد على 37 سنة.

وعندما قربت وفاته أوصى رحمه الله، لولده الأكبر سيدي محمد على أشقائه سيدي إدريس وسيدي الطيب، ولزوجته السيدة فاطمة العراقية على أولاده منها: سيدي المهدي وسيدي عبد الله الكامل، وسيدي محمد العزيز، والسيدة فاطمة. والكل بإشراف الحاج إدريس بن محمد الحلو وبتعريف أخيه الوحيد الباقي في المغرب مولاي أحمد بن جعفر الكتاني، وابن عمه مولاي عبد الكبير بن هاشم الكتاني وأداء القاضي سيدي محمد بن رشيد العراقي. رحم الله شاعرنا وبارك في ذريته.

وفي فاتح سنة 1407هـ أي بعد وفاة سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني بحوالي 74 سنة يعد أحفاد سيدي عبد الرحمن 17 ذكرا، 16 من الأحفاد و5 من أبناء الأحفاد، وقد توفي الآن جميع أبنائه رحمهم الله، أولهم: سيدي إدريس الذي توفي سنة 1360هـ والذي انقطع عقبه بعد وفاة ابنه الوحيد العالم الفقيه سيدي الصادق بن إدريس الكتاني مؤخرا. وتعيش ذرية سيدي عبد الرحمن الكتاني كلها اليوم في مدينة فاس، حفظهم الله جميعهم، وأدام العلم فيهم وفي أبنائهم.

ولقد ترجم لسيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني أخوه سيدي محمد في كتابه

"النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية[6] رافعة"، الذي وصفه بـ "الفقيه العلامة الأرقى، الراقي في سماء العز والمجادة مرقى، الأديب الشاعر، ذو الذكاء والنبل الظاهر".

كما ترجمه العلامة سيدي محمد الطاهر بن الحسن الكتاني في كتابه "بهجة البصر بذكر بعض أعيان القرن الرابع عشر" ونعته بـ "الفقيه النبيه، الضابط الحازم النزيه، المشارك الحاذق اللبيب، الطالب الصادق الأديب".

وترجمه العالم الجليل الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في كتابه "ترقية المريدين بما تضمنته سيرة السيدة الوالدة من أحوال العارفين" وقال عنه: "صديقنا ورفيقنا في الرواية، العلامة النحرير، صاحب الخلق والأناة وحب الخير وأهله، إلى سرعة كشف عند المطالعة، وتوفيق للمظان وحسن خط وضبط، ورواية ودراية وأدب غض".

ثم ترجمه العالم الجليل النسابة سيدي عبد الكبير بن هاشم الكتاني في كتابه "الشكل البديع في النسب الرفيع" وقال: "وكانت بيني وبينه محبة عظيمة ومكاتبات".

وترجمه ابنه العالم الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني وقال عنه: "الفقيه، العالم العلامة الوجيه، الخطيب الأديب النزيه".

وترجمه سيدي محمد الغيث بن الشيخ ماء العينين الشنقيطي في "ديوان الأبحر المعينية في الأمداح المعينية"، وقال عنه: "أديب أقرانه، ولبيب صحبانه، العالم الفقيه الشريف، والحب المنيف" وقال: "كان من العلماء المتقين، والأدباء الورعين، وله مشاركة جيدة في أكثر الفنون المعقولة والمنقولة، وتآليفه حسنة، وأجوبته عن المسائل مستحسنة. وله ذكاء مفرط وجودة قريحة وتثبت...".

2. مقتطفات من نثره

ونأتي فيما يلي ببعض مقتطفات من نثر سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، أولها: حادثة وقعت بفاس كتبها في رسالة منه إلى أخيه سيدي محمد بالحجاز في متم ذي الحجة الحرام عام 1321هـ، قال:

"ومما وقع عندنا بفاس: أن أولاد قنديل بن زاكور كانوا مشتغلين في الطالعة بما لا يعني من شرب الخمر والزنى وغير ذلك. ولهم أتباع وأصحاب كذلك، ثم إنهم خرجوا في بعض الليالي وهم سكارى فلقوا في الطريق شريفا علويا فضربوه بالسكين وبقي هناك ملقى. ولما أفاقوا من سكرهم أدخلوه[7] لدارهم، وأتوا بمن يداويه، ثم إنه مات من ذلك، وأعطوا لمقدم الحومة دراهم وللبيَّات كذلك، وأخرجوه ليلا إلى غرفتهم وطرحوه منها إلى خارج باب (عجيسة) لكونها مجاورة له، وذهبوا صباحًا وحفروا له قبرا ودفنوه به ووضعوا فوقه كلبا لئلا يعرف. ولما طالبهم العلويون بإحضاره أنكروا ذلك كله. ورفع الأمر للمخزن، فحبس الجميع، وبعد الضرب أقروا به. فذهب القائد وحفروا عليه وأخرجوه. ثم بعد ذلك استدعى السلطان العلماء والقضاة للحكم في المدعى عليهم، وقام العلويون في ذلك على ساق الجد، ولم يقبلوا دية ولا غيرها. وحكم العلماء بقتل المدعى عليهم. وقد قتل واحد من أولاد قنديل المذكور يوم الاثنين بباب الشريعة بعدما انحشر الناس أفواجا لرؤيته. فأتي به مقيدا مسلسلا وضرب بثلاث رصاصات، وخير السلطان العلويين في صلبه أو إعطائه لأهله، فاختاروا إعطاءه لأهله، فأخذوه وذهبوا به إلى باب الفتوح ودفنوه هناك خوفا من أن يخرجه العلويون ويحرقوه. وفرح الناس بذلك غاية حيث صارت تقام الحدود. نسأل الله أن يؤيد هذا الدين المحمدي وينصره إنه سميع مجيب".

والمثال الثاني من نثر سيدي عبد الرحمن: ما كتبه في رسالة لأخيه سيدي محمد أرسلها إلى المدينة المنورة بتاريخ يوم الخميس 28 شوال عام 1325هـ يصف فيها الأحوال بعد خروج السلطان عبد العزيز من فاس عند عزله، قال:

"حالتنا الآن بين خوف ورجاء: تارة نسمع الأخبار السارة فنرجو وتارة نسمع خلافها فنخاف. وقد عُزل الجباص وجُعل مع الطريس بطنجة، ومن الناس من يقول: إنه عزل الطريس واستقل الجباص بالأمر. ومنذ خروج السلطان والطريق إلى الرباط سالمة. وكان شرع في نقل ما هنا من المدافع والعدة والقرطاس إلى الرباط، فذهبت القافلة الأولى والثانية والثالثة. ولما خرجت القافلة الثالثة تعرّض لها عدد من الفرسان، فنهبوها وأخذوا منها نحو الأربعين بغلة بأحمالها، والباقي رد لفاس. ووقع بينهم قتال مات فيه من الفريقين، ولم يبق أحد يقدر على حمل شيء إلى المخزن للرباط، لأنهم لا يتعرضون لحمَّار ولا لجمَّال، بل لما هو لجهة المخزن

فقط. والحاصل: قد انقطع عن المخزن ما يصله من هنا".

"وهذه المرة لم يقع بين الشاوية والفرنسيس قتال، بل وجه المخزن من الرباط[8] محلة لقتالهم، فرجعت منكسرة. وممن خرج بها من مشاهير القواد: عبد الكريم ولد أب محمد وولد بوشتي بن البغدادي وابن العربي. والحاصل: هزموا هزمة شنيعة وتفرق بسببها من كان معهم من القبائل، ورجع كل واحد إلى محله، ومن الغد خرج لهم الفرنسيس من الدارالبيضاء لأنه كان - فيما يقال - تعاهد مع المولى عبد العزيز على ذلك، فتلقوه على العادة من غير مبالاة بمدافع ولا غيره، بل أقبلوا إليه يزفون، ونصرهم الله عليه نصرا عزيزا، وبقي بيدهم من أسارى اللعين (أي: الفرنسيس) فيما أخبر به بعض من كتب إلى فاس، ستمائة وسبعون، وفي كتاب آخر مائتان وسبعون. وبالجملة فمزية ساداتنا الشاوية لا تنكر، وقدمهم على رقبة جميع أهل المغرب، جازاهم الله عنا خيرا، وقواهم وأعانهم وأمدهم بروح منه، آمين. وكذلك الحرب على ساق بنواحي وجدة مع اللعين بدد الله جموعه. ويقال: إنهم أخرجوه منها، إلا أنه لا تحقيق بذلك، والمتحقق هو مقاتلتهم معه، ونصرهم الله عليه. زاد الله في مددهم وأعانهم على ما هم بصدده".

"وأما أبو حمارة فلازال بمحله كأنه غير موجود، ومحلة المخزن التي كانت بوجدة مقابلة له قدمت على المخزن للرباط لاحتياجه إلى من يعينه ثم. فيقال إنه في هذه الأيام يتهيأ للحَرْكَة لفاس، وقد تحقق الناس أنه فتان لا غير، وأنه من ناحية الفرنسيس حيث غض الطرف عنه ولم يقم لقتاله. وأمس تاريخه قدم صاحبنا الشيخ أحمد بن الشمس على فاس من رباط الفتح، وسألته عن الشيخ ماء العينين فذكر أنه تركه بمراكش. والغالب عليه أن يكون سافر منها عقب عيد الفطر. وهو يقرئكم السلام وهو بخير وعلى خير. والناس يتعجبون منه كيف أتى من مراكش لرباط الفتح ولم يحصل له من ناحية المخزن مكروه. ولا عجب!، فإن المخزن هنا في هذه الأيام لم يبق له ولابد كبير أمر، وإنما هو يصانع ويداري خوفا على نفسه".

والمثال الثالث نأتي به مقتطفا من رسالة كتبها لأخيه سيدي محمد إلى المدينة المنورة يتحرق فيها على أوضاع المغرب وتشتت شمله، وذلك في شوال عام 1329هـ يقول: [9]

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآل وسلم:

يا من تَرَحَّل، فالنسيم لأجله يشتاق إن هبّت شذا ريّاها
تحيا النفوس إذا بعثت رسالة فإذا كتبت اقرأ: ومن أحياها

سيدي!، بأيّ لسان أخاطب حضرتك، وبأيّ وصف أصف خلالك الكريمة وطلعتك، بوحي الوداد المحكم إني لازلت كما تعلم:

أبدًا تحن إليكمُ الأرواح ووِصَالكم ريحانُها والراحُ

فكيف تحصل السائمة والملل من خطاب تلك الحضرة، أو يمرّ هذا ولو في عالم المثال على فكرة؟! فإن جنابكم الكريم، خطابكم الفخيم غاية السؤل ومنتهى الأمل، ولا يشغلنا عنه بحمد الله قول ولا عمل. غير أن العوارض الوقتية لا تخفى، والأمور المنغصة للبال كثيرة لا أطيق لها وصفا. فوالله إنّا لا نطيق سماعها أصلا، فضلا عن أن نكتب فيها فصلا. فآهًا على انتثار هذا العقد الثمين!، وآهًا على جهل الأمة المغربية وتفرق كلمة المسلمين!، عَدِمَ الناصر والمعين!، ولم يبق إلا ما يكدر الماء المعين!. فلو أن القبائل اجتمعت وكانت كلمة واحدة على العدو اللعين، لحصل النصر إن شاء الله للمسلمين!، ولكن كل قبيلة تجلس في محلها، والعدو ينازل كل قبيلة على انفرادها. فقصارى من يدعي منهم النجدة والشجاعة: أن يقاتلوه يومًا أو يومين، ثم يدخلون في طاعته صاغرين، قابلين لجميع ما يشترطه عليهم!، والأمر لله!.

هذه قبيلة آيت يوسي وآيت سَغْرُوشِّن قاتلوه في هذه الجمعة وقتل من الفريقين عدد كثير، ولا سيما من العدو، فقد ضاعت له أعيان، ويوم تاريخه ورد الخبر بأنهم ذبحوا عليه فلم يقبل لهم إلا أن يأتوه بالسلاح. والله أعلم بحقيقة الحال!. ولا حول ولا قوة إلا بالله!.

وقد وصل السلك التلغرافي من مكناس إلى دارد بيبغ، وقد كنا قدمنا لكم الإعلام بوصوله إلى مكناس من الدارالبيضاء وعلى طريق زعير وزمور. كما أنه وصل إلى فاس أمس تاريخه منطاد طائر في الهواء يحمل عسكريين من فرنسا، طار من الدارالبيضاء فوصل لمكناس في ساعة ونصف، ومن الغد طار منه لفاس فوصل في نصف ساعة، وقيل: إنه يمر من هنا إلى آيت يوسي".

والمثال الرابع: نقتطفه من رسالة بعثها سيدي عبد الرحمن بتاريخ 12 ربيع الثاني عام 1330هـ، من فاس إلى المدينة المنورة، إلى ابني أخيه جدنا سيدي [10]

محمد الزمزمي وصنوه سيدي محمد المكي، قال فيها:

"أرى أنه حصل لأهل المغرب انتعاش في الجملة، ففي هذه الجمعة، والتي قبلها، وقع القتال بنواحي صفر ولمّا علمت فرنسا باجتماع القبائل هنا، سافروا بمن كان هنا من عسكرهم وعسكر المسلمين الذي نظموه هنا. ولازال القتال بينهم إلى الآن، والنصر للمسلمين. وقد كانت البلاد عندنا في الجمعة الماضية فيها فزع، فكانت الأبواب تصبح مسدودة، والمواشي لا تخرج للرعي خوفا من النهب، حتى تبين أن القبائل اصطلحوا على صلاح الطريق وعدم التعرض لمسلم، وإنما مرادهم العدو اللعين. وجميع القبائل التي بين فاس وتازى كلها مع البرابر كلمة واحدة، وكذلك زَمُّور لازالوا على قتالهم. وشاع يوم تاريخه أن الزياني[1] غنم غنيمة كبيرة من العدو. والحاصل؛ البهلاء (أي: البلهاء) مثلي لازالوا يترجون حصول أمر ما، والغير عنده هذا من المحال"...

"قبل هذا بأيام قدم المقري وأحد وزراء فرنسا، واهتبل لدخولهما غاية الاهتبال، وسدت الأسواق. ولم ندر ما فعل الجناب الحفيظي، غير أنه يتجهز للسفر إلى الرباط، ويكون خروجه في أول الشهر الداخل مع نفر يسير من الكتاب والوزراء وغيرهم، ومن الرباط يقال إنه يسافر لباريز".

"أمس تاريخه وقع ازدحام في سوق العطارين بين جَبَلي ونصراني، فضرب الجبلي النصراني بسكين على وجهه حتى سال دمه وفر للضريح الإدريسي. فجاء الزَرْواطي[2] وأخرجه منه إلى سيدي فرج[3] لزعمه أنه أحمق، ولا أدري ما آل إليه أمره. أما أرباب الحوانيت لما رأوا ما ذكر سدوا حوانيتهم وذهبوا خوفا من أن تلحقهم عقوبة في ذلك. فلما جاء الزرواطي أمرهم بفتح حوانيتهم وقبض منهم المخازنية[4] بليونا من كل حانوت سخرة...".

والمثال الخامس: من رسالة كتبها سيدي عبد الرحمن من فاس إلى المدينة

---

(1) محمد بن حمو الزياني من المجاهدين الكبار ضد الاستعمار الفرنسي.

(2) بمعنى الشرطي.

(3) أي: مستشفى المجانين.

(4) أي: الشرطة.

المنورة لأخيه سيدي محمد بتاريخ 19 ربيع الأول عام1331 يقول فيها:

"وتالله إنا لا عزم لنا على المقام في هذه البلاد، مع ما حصل بها من[11] احتلال الأعاد، ولا شغل لنا إلا التضرع إلى عالم السرائر، واللهج بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [النساء: 75] وما أوجب تأخرنا إلا عدم اليأس من هلاك العدو اللعين، وانتظار الفرج ممن يقول للشيء: كن فيكون، ورؤيتنا عدم نجاح شيء من الأمور التي فيها يسعى، فلا يمضي لما يحدثه أيام قلائل حتى تنعدم أصلا وفرعا، واتفاق كلمة البر والفاجر على قرب تدميره، وخروجه من هذه البلاد واختلال تدبيره".

والمثال السادس: من رسالة كتبها سيدي عبد الرحمن من فاس إلى المدينة المنورة لأخيه سيدي محمد بتاريخ يوم الجمعة 28 جمادى الأولى عام 1332هـ قال فيها:

"فغير خاف على سيدي شدة اشتياقنا إليكم، وكَلَفُنا على القدوم عليكم، وهذه مدة مديدة وسنون عديدة ونحن نكاتب جلالتكم الكريمة عن عزم أكيد، وشوق مديد، وفي كل وقت نترجى تحسين الحال واتساعه، ونسأل الله تعالى تيسير ما نحتاج إليه في ذلك من البضاعة. والأقدار إلى الآن غير مساعدة، وفي كل وقت يشتد الحال عما كان عليه قبل، حتى إنه كان فيما سبق ربما يوجد عندنا بعض دراهم وعروض يتحصل فيها شيء، وهذه السنون المارة قد حطت كل شيء، وركبنا ديون، ولم يبق غير محل القرار، وما لا مندوحة لنا عنه من أثاث البيت، ولم يبق لنا قوة على المقام هنا أصلا، وكادت أن تفنى قوتنا، وضعف جسدنا، وذلك كله من هموم استيلاء العدو، وما يصدر منه، والأمور لله...".

3. ديوان سيدي عبد الرحمن الكتاني

جمعتُ ديوان سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني من ثلاثة مصادر مهمة، أهمها:

- كناشة المؤلف التي هي في ملك سيدنا الوالد. وهذه الكناشة هي بخط سيدي عبد الرحمن نفسه، وبها مجموعة كبيرة من أشعاره التي أوردناها هنا.

- أما المصدر الثاني: فهو من كناشة مولانا الجد سيدي محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني التي أتى فيها بكثير من أشعار المؤلف التي لم تكن في الكناشة .

- والمصدر الثالث هو ما وجدنا في مكتبة سيدنا الوالد العلامة سيدي محمد المنتصر بن محمد الزمزمي[12] ابن محمد بن جعفر الكتاني من أشعار سيدي عبد الرحمن أما بخط يده أو في الكتب والمخطوطات المختلفة أو في مراسلات الشاعر مع أخيه وابن أخيه أو مما جمعه سيدنا الوالد نفسه، أو ما طبع على المطبعة الحجرية من أشعار المؤلف.

وهكذا كان مجموع ما جمعناه من أشعار المؤلف 1950 بيتا قسمناها إلى عشرة فصول وهي:

الفصل الأول: تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي	132 بيت
الفصل الثاني: الحسام المنتضى المسنون	130 بيت
الفصل الثالث: الجوهر النفيس في النسب الكتاني	601 بيت
الفصل الرابع: الأمداح النبوية	163 بيت
الفصل الخامس: في والده وأقربائه	180 بيت
الفصل السادس: في أخيه سيدي محمد	132 بيت
الفصل السابع: في الشيخ ماء العينين	205 بيت
الفصل الثامن: في الشيخ أحمد الشمس	100 بيت
الفصل التاسع: في المحبة والحكم	128 بيت
الفصل العاشر: منوعات	169 بيت

نرجو أن نكون بعملنا هذا قد جئنا بالفائدة العامة، وأخرجنا من النسيان شخصية مهمة. جعل الله عملنا لوجهه الكريم، آمين.

4. تراجم سيدي عبد الرحمن الكتاني

لقد وقعت يدنا على ست تراجم للمؤلف كلها مخطوطة، نأتي بها جميعا فيما يلي لتمام الفائدة:

أولها: ترجمة أخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعه"، قال:

"ومنهم: أخونا للأب الفقيه العلامة الأرقى، الراقي في سماء العز والمجادة مرقى، الأديب الشاعر، ذو الذكاء والنبل الظاهر، أبو زيد مولاي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني[13]. ولد رحمه الله في الساعة الرابعة من ليلة الأحد ثامن وعشرين المحرم مهل عام سبعة وتسعين ومائتين وألف، ونشأ في حجر والده في عفاف وصيانة، ومروءة وديانة، مصانًا عن الأغيار، متوجا بتاج الوقار. فقرأ القرآن، ثم شرع في تعلم العلوم، محصلًا لمنطوقها والمفهوم، وكانت قراءته على والده وغيره. وأكثر قراءته على العبد الفقير. وكان قارئا بين يديّ في كل ما أقرأه من القليل والكثير، ثم أخذ في التدريس فأجاد وأفاد، كما استفاد، وحرّر وهذّب، ونقح ورتب. وكان ذا نجابة تامة، وذهن ثاقب، وفهم مصيب، وفكر صائب، ملازمًا لوالده، بارا به كل البرور. ولوالده به اعتناء كبير وابتهاج وسرور".

"وكانت له معرفة بالفقه والحديث والآثار، والنحو واللغة والأدب وغيرها من العلوم الغزار، شاعرا مفلقا، ناظمًا، ناثرًا معلقًا. ومما كتب به إليّ من إنشائه ومن خطه نقلت:

أتيت حمى محمد بن جعفر لكيما خاطري بالسول يظفر، إلخ.

ومن شعره أيضا يخاطبني:

ملكتَ الندَى حتى عَمَرْتَ يبابه ومد على علياك قهرا قبابه، إلخ.

ومن شعره: تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي التي أولها:

هناؤكمُ يا أهل طيبة قد حقا فبالقرب من خير الورى نلتمُ السبقا

وفيه أيضا يتشوق إلينا حينما هاجرنا إلى المدينة المنورة:

مالي على هجر الأحبة من جلد تالله لا يقوى لبعدهمُ خلد، إلخ..

وشعره كثير جدا.

"وقد ألف تآليف رائقة، محررة فائقة، لم أستحضرها الآن، إلا أن منها واحدا فيمن غيّر المصطفى، صلى الله عليه وسلم، أسماءهم، ومنظومة في نصرة القبض سماها بالحسام المسنون على من قال: إن القبض غير مسنون، وقد طبعت بفاس. وهو الذي جمع للوالد فهرسته المسماة "إعلام أئمة الأعلام وأساتيذها بمالنا من المرويات وأسانيدها". وقد أجازه الوالد وغيره. ولما حججت سنة إحدى وعشرين من هذا القرن أخذت من علماء مصر والشام والحجاز وغيرهم من أهل العلم والفضل[14] الذين حجوا في تلك السنة من الآفاق الإجازة لي ولجميع إخواني، فأشركتهم معي في هذه الأمنية التي هي خير مزية وأمنية".

"وكان، هو وأخونا مولاي أحمد، قد عزما على الهجرة معي إلى المدينة، بل وتأهبا لذلك، فعاقهما عن ذلك عائق الحرب العام، الذي وقع واستمر عدة أعوام. فكانا ممن هاجر بنية وعزم. فكان لهما ثواب الهجرة مع النّية حتما".

"ثم إن صاحب الترجمة - فيما بلغنا - سافر من فاس إلى مراكش وغيرها، للزيارة ونحوها، في سادس وعشرين ذي القعدة الحرام عام ثلاثة وثلاثين من هذا القرن، فرجع من سفره فاتح صفر سنة أربع وثلاثين شاكيا بقذفة الصدر بسبب سقوطه على صدره من مركوبه الذي قدم فيه من سفره، وبقي كذلك إلى يوم الجمعة تاسع الشهر في الساعة السابعة منه مساء، توفي رحمه الله عليه، وصلي عليه من الغد بعد صلاة الظهر بجامع الأندلس، ودفن بخارج باب الفتوح في قبة سيدي الدرّاس بن إسماعيل عند رأسه. وتوفيت بعده أمه زوجة الوالد؛ وهي السيدة فاطمة القصرية، في رجب عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفنت بسيدي الدرّاس إلى جنب ولدها، رحمة الله علينا وعليها آمين".

ثانيهما: ترجمة العلامة سيدي محمد الطاهر بن الحسن الكتاني في كتابه "بهجة البصر بذكر بعض أعيان القرن الرابع عشر". قال بعد ترجمة أخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني:

"ومنهم: أخوه للأب الفقيه النبيه، الضابط الحازم النزيه، المشارك الحاذق اللبيب، الطالب الصادق الأديب؛ أبو زيد سيدي عبد الرحمن، وأخذ عن شيوخ أخيه قبله ومن غيرهم، وألف تآليف منها: حاشيته على شروح الأزهري للأجرومية،

لم تكمل، وتأليف في جموع عبد، وكشف النقاب عن موافقة سيدنا عمر بن الخطابْ، وتأليف فيمن أردفه النبي صلى الله عليه وسلم خلفه، وتأليف فيمن بدل صلى الله عليه وسلم أسماءهم من الصحابة، وغير ذلك. وله سجية قوية في الشعر، وبدره لازال يسمو، حفظه الله آمين"[15]

ثالثها: ترجمة الشيخ سيدي عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في كتابه "ترقية المريدين بما تضمنته سيرة السيدة الوالدة من أحوال العارفين" المؤلف في 10 شعبان سنة 1334هـ. قال:

"وأبو زيد عبد الرحمن، صديقنا ورفيقنا في الرواية، العلامة النحرير، صاحب الخلق والأناة وحب الخير وأهله، إلى سرعة كشف عند المطالعة، وتوفيق للمظان وحسن خط وضبط، ورواية ودراية وأدب غض، رحمه الله رحمة واسعة. ومن مؤلفاته: نظم جيد في البيت الكتاني وفروعه، وتراجم أهله على طريق الاختصار".

رابعها: ترجمة النسابة سيدي عبد الكبير بن هاشم الكتاني في كتابه "الشكل البديع في النسب الرفيع" قال:

"وصْفُ سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: عربي، أبيض، للطول، متصل أسوده، قائم الأنف، مُحَوْجَب، لرقة الأطراف والأسالة. وهو أخو شيخنا سيدي محمد للأب وأخو شيخنا مولاي أحمد للأب كذلك. وكانت بيني وبينه محبة عظيمة ومكاتبات لما استخدمت بوجدة وغيرها (وذكر منها كتابا أجابه فيه عن تهنئة بعيد مؤرخ بـ 20 ربيع الأول عام 1329هـ)".

خامسها: ترجمة سيدي محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني في رسالة كتبها لسيدي محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني بتاريخ 12 رجب عام 1351هـ. قال:

"الشريف الفقيه، العالم العلامة الوجيه، الخطيب النبيه، الأديب النزيه، المولى عبد الرحمن ابن المولى جعفر الكتاني الحسني، كان عالما عاملا، مدرسا أديبًا، شاعرًا ناثرًا، خيّرًا ديّنًا نزيهًا، ذا حياء ومروءة، ووقار وسكينة. وكان يحبني محبة شديدة، ويعظمني غاية التعظيم، ويتأدب لي غاية الأدب. وكان يبحثني عن أسلافنا غاية البحث، وأقيد له تقاييد في قبيلتنا أياما وشهورا عديدة، ولم يطالعني

على سره إلى يوم من الأيام قدم عندي صباح يوم الخميس وأطلعني على[16] قصيدته في قبيلتنا، وتركها حتى أخذت منها نسخة، وهي تحت يدي لعقبي تكون لهم ذخيرة يدخرونها أبا عن جد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين".

"وله أبحاث عجيبة في الفقه، وخصوصا علم النوازل. وكان يأتي عندي في بعض الأحيان ليطالع نازلة في كتبي، ولا يذكر لي مقصوده، إنما يطالبني بالكتاب، فأدفعه له، وبعد مراجعته لذلك يتركه تحت يدي. وهذا دأبه معي رحمه الله".

"توفي في الساعة السابعة ليلا تاسع صفر الخير عام 1334هـ، ودفن بضريح سيدي الدراس بن إسماعيل، وخلف ثلاثة أنجال: سيدي محمد وسيدي إدريس وسيدي الطيب، ولازالوا بقيد الحياة وفَّر الله جمعهم".

سادسها: ترجمة سيدي محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني في كتابه "الكواكب الزاهرة والمآثر الباهرة في علماء الشعبة الكتانية الوافرة" قال:

"هو العالم المحقق، الفقيه المدقق، الكاتب الكبير، والشاعر الشهير، المسند الراوية، المحدث الداعية، النسابة المطلع، والبحاثة المتورع، المدرس البليغ، فرع الشجرة المحمدية، وغصن السلالة النبوية، تاج الأدباء، ويتيمة النجباء، الكوكب الأزهر، والتاج الأنور، الدين المتمسك، الخير المتبرك، الأثري العامل، السني الفاضل، الذي فاق الأقران، وحدا أئمة البيان، أحد المتبرزين في العلوم الظاهرة، والمتصدرين للمزايا الطاهرة، الشائق لأعلى الحضرات، والمنتظر لأكمل المقامات، المشروح الخاطر، والمشارك الناظر، الجمَّاع البارع، والنفَّاع الخاشع، المتعلق بأذيال العارفين، والمطرَّح على ظهور الكاملين، المبهوت النوراني، والمغبوط المتفاني، أحد نجباء الشعبة الكتانية، وأظرف المدرسين أهل الفكرة التبيانية، أبو زيد عبد الرحمن ابن إمام الفقهاء والنوازل العلمية مولانا أبي المواهب جعفر الكتاني، أحد تيجان الإدريسية الفاسية، وأفراد الشعبة العلمية التبيانية".

"ولد في أواخر محرم الحرام سنة 1297هـ في حاضرة فاس، فتربى في حجر والده الفقيه النوراني، فاعتنى به أتم اعتناء، وقام بشؤونه شأن الكبراء، ينبهون أبناءهم للمحاسن، ويسوقونهم أمامهم لكل المعاطن، فيجدونهم في كل[17] المضامر، ويناودنهم في كل العلوم والمآثر. فأدخله والده للمكتب القرآني، فأخذ منه

الكثير بهمة وأعانه الله به في المهمات. فلما ارتوت حافظته الذكية الفائقة، وطعمت همته من التلاوة الرائقة، انتقل إلى الجامعة القروية الفاسية الشهيرة، فانخرط في عقد أبنائها النجباء، وصار يرد في بحارها العلمية حتى اكتظ قلبه النوراني، وارتوى جسمه وفكره المتداني".

"ثم إنه لازم جماعة من مشايخ العلم والدراية، وكاتب طائفة من أهل الرواية كالعلامة الفقيه والده أبي المواهب الكتاني، وأخيه الحافظ أبي الأنوار الكتاني، وجدنا الصوفي المحدث أبي المكارم الكتاني، ووالدنا الإمام المفسر الأصولي الصوفي الحافظ أبي الفيض مولانا محمد الكتاني صاحب اللثام، والفقيه المشارك الشريف أبي محمد عبد الملك بن عبد الكبير العلمي، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام جنون، والحافظ المطلع أبي عبد الله بن عبد الواحد الإدريسي الزرهوني، والخطيب أبي جيدة بن عبد الكبير الفاسي الفهري، وأخيه العلامة محمد الطاهر الفاسي الفهري، والعارف الجليل العلامة الحميد أبي عبد الله الشيخ محمد مصطفى ماء العينين الشنجيطي، وأبي العباس أحمد بن الخياط الزكاري، وأبي عبد الله العلامة الأصولي الكلامي محَمد بن قاسم القادري، والقاضي أبي العباس أحمد بن محمد البناني، والقاضي أبي محمد عبد الله بن خضراء السلاوي، وغيرهم رحمهم الله وأسكنهم الفردوس بمنّه وكرمه. آمين".

"ومن شيوخه المشارقة: الشيخ حبيب الرحمن المدني، والشيخ صالح الظواهري المدني، والشيخ علي بن ظاهر الوتري المدني، والشيخ أحمد البرزنجي المدني، والشيخ عبد الله القدومي المدني الحنبلي، والشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة المدني، والشيخ محمد بن سليمان الشهير بحسب الله المكي، والحبيب حسين بن محمد الحبشي، والشيخ محمد سعيد بابصيل المكي، والشيخ أحمد أبو الخير بن عبد الله مرداد، والشيخ محمد عبد الحي بن مولانا المولوي الشيخ الشاه محمد الإلهأبادي، والمسند أحمد أبو الخير بن عثمان الأحمدي، والشيخ بدر الدين الدمشقي، والشيخ عبد الحكيم الأفغاني، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد أمين البيطار الدمشقي، والعلامة الشيخ يوسف النبهاني، والشيخ عبد الرحمن الحوت البيروتيان، والشيخ عبد الرحمن الشربيني[18] المصري، والشيخ محمد بن محمد الميرغني، والشيخ سيدي أحمد العطاس اليمني، وغيرهم من الأعلام، ومشايخ الإسلام".

"ومن مؤلفاته: "الجوهر النفيس في النسب الكتاني ذي التقديس"، و"الحسام المنتضى المسنون على من قال: إن القبض غير مسنون". وله من الأشعار الكواكب الكبيرة، والانتظامات الشهيرة، حاز فيه المضمار الفائق، والباع الرائق، واشتهر بذلك اشتهارًا كثيرًا، واستوى منه على ذروة البلاغة قريرا. وها أنا أسوق هنا طائفة من نفائس أشعاره، وجواهر من معالي يواقيته وأسراره". (وأتى ببعض أشعاره).

سادسها: ترجمة سيدي محمد الغيث بن الشيخ ماء العينين في كتابه "ديوان الأبحر المعينية في الأمداح المعينية". قال:

"أديب أقرانه، لبيب صحبانه، العالم الفقيه الشريف، والحب المنيف، السيد عبد الرحمن ابن القدوة الشهير السيد جعفر الكتاني. كان من العلماء المتقين، والأدباء الورعين، وله مشاركة جيدة، في أكثر الفنون المعتدلة والمنقولة. وتآليفه حسنة، وأجوبة عن المسائل مستحسنة. وله ذكاء مفرط، وجودة قريحة وتثبت. وهو ممن أعرفه بفاس. وقد تتلمذ على حضرته الشريفة (يعني: الشيخ ماء العينين) وأعطاه الإجازة في العلم الظاهر والباطن. وله في كثير من تآليفه المطبوعة تقاريظ شهيرة، ومدائح في حضرته العلية كثيرة".

نطلب من الله التوفيق

وكتبه:

علي بن محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني

جدة 1 رجب عام 1407هـ.[19]



الفصل الأول

تشطير قصيدة

ابن جابر الأندلسي[20]

تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي

عندما سافر أخو الشاعر الأكبر العالم الفقيه الإمام الشيخ محمد بن جعفر الكتاني مهاجرا إلى المدينة المنورة وأخذت تظهر بوادر انحلال الدولة المغربية وتسلط المستعمر الفرنسي عليها، أخذ العلامة سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني يفكر في الهجرة إلى أرض الحجاز، مهبط الوحي ومرقد سيد البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأبدى هذه الرغبة الجامحة في تشطير قصيدة ابن جابر الأندلسي الرائعة سنة 1330هـ وأرسلها مع رسالة إلى أخيه من فاس إلى المدينة المنورة.

وابن جابر هذا هو: أبو عبد الله محمد بن جابر الضرير، من أهل المرية بالأندلس، رحل إلى المشرق ودخل مصر والشام واستوطن حلب، وهو صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان، وله أمداح نبوية كثيرة وتآليف، وقد رجع إلى الأندلس وتوفي في البيرة في جمادى الآخرة سنة 780هـ. وهذا نص تشطير سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني:

هناؤكمُ يا أهل طيبة قد حقا ... وفخركمُ قد طبَّق لبغرب والشرْقا

إذا عـدَّدَ الأقوام يوما فخارَهُم ... فبالقرب من خير الورى نلتمُ السبْقا

فلا يتحرك ساكن منكم إلى ... مبارحة؛ إني أرى ذلك الفسقا

وتيهوا بسكناها على الكون واهجروا ... سواها وإن جار الزمان وإن شقا

فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... منحتم به من قرب خير الورى شوقا

ويبذل مُلْكَ الكون كي يصل الذي ... وصلتّم، فلم يقدر ولو ملك الخلقا

فبشراكمُ نلتم عناية ربكم ... وفزتم بما عنه تقاصر من يرقى

وحزتم جوار المصطفى خيرة الورى ... فها أنتمُ في بحر نعمته غرقى

ترون رسول الله في كل ساعة ... فتنبعث الأمداد لكم ودقا

لقد حزتمُ سعد السعود بقربه ... ومن يره فهْو السعيد به حقا

متى جئتمُ لا يغلق الباب دونكم ... ويمنح آتيه مؤملُه طبقا

على فتحه للمعتقين بناؤه ... وباب ذوي الإحسانَ لا يقبل الغلقا

فيسمع شكواكم ويكشف ضركم ... ويكرم مثواكم ويجبر ما انشقا

ويكثر جدواكم على كل حالة ... ولا يمنع الإحسان حرًّا ولا رقا[21]

بطيبة مثواكم وأكرمُ مرسل يدافع عنكم كلّ من يبتغي محقا
فمن ذا يدانيكم وطٰه على المدا يلاحظكم، فالدهر يجري لكم وفقا؟
فكم نعمة لله فيها عليكمُ ملكتم بها من أشرف الرتب الأرقى
وكم نفحة عنكم تزاد بجاهه فشكرا فنُعمى الله بالشكر تستبقى
أمنتم من الدجال فيها فحولها جنود من الأملاك تدحقه دحقا[1]
فمن أي باب رام يدخل عنده ملائكة يحمون من دونها الطرْقا
كذاك من الطاعون أنتم بمأمن كما صحّ إسنادًا، فحدِّث به صدقا
لقد نلتمُ كل المنى بجواره فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم وهيموا به ما بين أهل الهوى عشقا
ولا تعدلوا عن رَبْعِهِ خوف فاقة وإن حالت الدنيا ومرت فلا فرقا[2]
حياة وموت تحت رحماه أنتمُ فطوبى لكم حال الحياة وفي الملقى
أمنتم به دنيا وقبرا ومَنْشَرا وحشرا، فسترُ الجاه فوقكمُ ملقّى
فيا راحلا عنها لدنيا تريدها حنانيك لا تعدل عن العروة الوثقى
أتستبدلُ الأدنى بماعز مثله أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
أتخرج عن حوز النبي وحرزه لكي تجتدي من غير حضرته وسقا
أتعدل عن بحر المكارم والندى إلى غيره، تسفيه مثلك قد حقا
أتبعد عمن جاء للخلق رحمة وكم مستهام ذاب من بعده توقا
أترغب عن أعلى الخلائق رتبة وأولاهمُ حلمًا وأوسعهم رفقا؟!
لئن سرتَ تبغي من كريمٍ إعانة فأنت إذن والله من جملة الحمقى
أليس رسول الله أكرمُ خلقه فأكرمُ من خير البرية ما تلقى
وإن كنت تبغي العلم فالعلم كله أحاط به لما إلى ربه استرقى
فمهما تشا منه تجده حقيقة لديه فكم قلبٍ من الجهل قد أنقى
وإن خفت ريب الدهر فهْو أمانُنا يقينا، فلا ضيمًا نخاف ولا ضيقا
ومالي سوى حُبي إليه وسيلةٌ إذا الدمع من خوف القيامة لا يرقا

---

(1) تدحقه دحقا: تطرده طردا.

(2) حالت: زالت.

هو الرزق مقسومٌ فليس بزائد رحيلك في المقسوم ما جل أو دقّا

فلستَ تنال الدهر بالسير ذرة ولو سرتَ حتى كدت تخترق الأفقا

فكم قاعد قد وسَّع الله رزقه إلى بابه تجري ركائبُه طلقا[22]

وكم من مُجِدٍّ لم ينله سوى العَنا ومرتحلٍ قد ضاق بين الورى رزقا

فعش مثل ما عاشت صحابته بها وإن كنت لا تقوى فما يسع الطوقا

فكل امرئ منهم لقد كان سالكا على الزهد والإيثار والسَّنَنَ الأتقى

ولا تملأنَّ البطن فالبطن شرَّما يعوق عن الخيرات مالئه عوقا

فكم طاعة لله تتركها إذا ملأت، فأمسك لاستهابك ما يبقى

ولا تُوسِعَنَّ الخرق فالمرء قادر على سعة فيها إذا استعمل الرفقا

فتنتظم الأحوال فيها لمن جرى على الرفق مهما كان لا يُوسِعُ الخرقا

وعوِّد جميل الصبر نفسَك واقتنع بكفِ سُوَيْقٍ أو بِـدَدٍّ وإن مزقا

فما النفس في التحقيق إلا مطية على مثل ما عودتها أبدا تبقى

وكن لهم عبد الشّرا في الورى فإن أبَوْك فلازم بابهم تدرك الوفقا

فمن لازَمَ الأبوابَ يأوونه وإن همُ قبلوا فاشكر ولا تطلب العتقا

وعش في حمى خير الأنام ومت به تنل يوم عرض الخلق أحسن ما يُلقى

وراع رعاك الله ما ينبغي له إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى

إذا قمت فيما بين قبر ومنبر وشاهدت نورا هابه البدر فانشقا

وأصبحت جارا للنبي مخيما بطيبة؛ فاعرف أين منزلك الأرقى

لقد قمتَ في دار النعيم بروضة إذا بَرَقَتْ أنوارها تمحقَ البرْقا

ونلتَ بها كل السعادة والهنا ومن قام في دار النعيم فلا يشقى

ومنبره السامي على حوضه غدا عليه غدا يوم القيامة لا يُرقى[1]

ولكن إذا تمت شفاعته ارتقى يرى ذاك منا كل من أَلِفَ الصدقا

ومن جنة عليا وحوضٍ مكرَّم نزيلُ حمى طٰه ينال المنى حقا

فطوبى لمن قد حل طيبة إنه إلى ظل ذا يؤوي ومن ذاك يستسقى

---

(1) يعني: حديث الشيخين عن ابن عباس: "توضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه، قائما بين يدي ربي منتصبا"...الحديث.

لقد أسعد الرحمن جار محمد ... وأولاه في الفردوس أرفعه مرقى
فيا سعد من أضحى بطيبة ثاويا ... ومن جار في ترحاله فهُو الأشقى
فما خلق الرحمن أطيب تربة ... وأشرف من تلك البقاع ولا أرقى
وما نظر الراؤون أحسن منظرا ... وأظهر منها في الوجود ولا أنقى
بها خير من فوق البسيطة قد مشى ... وأشرفهم قدرا وأولهم خلقا
وأعظمُهُم جاها وأكثرُهم سنا ... وأملحهم وجها وأفصحهم نُطْقا[23]
وأصدقهم وعدا وأبسطهم يدا ... وأوفاهمُ عهدا وأعملهم صدقا
وأعلاهمُ مرقى وأوسعهم مدى ... وأكرمهم خَلْقًا وأعظمهم خُلْقا
لقد فَضُلَتْ كلَّ البلاد بأسرها ... وطَوَّقَتِ الأكوان من حسنها طوقا
ولا عَجَبٌ أن تَفْضُلَ الكونَ كلّه ... كما أن من حازته قد فَضُلَ الخلقا
وما مات حتى كمَّل اللهُ فضله ... ولا موت فالأكوان من فيضه تُسقى
وكل أخي فضل فمنه استمدَّهُ ... عموما، فلا تخصص زمانا ولا أفقا
فلو مات في أرض وفُضِّل غيرها ... لأشكل ذا، واللهُ قد أوضح الحقا
ولو صحّ ما قد قيل من فضل مكة ... عليها لما تم الكمال الذي حقا
وما ضمّ أعضاء الرسول فإنه ... به قد حوى أعلى مراتبِ الاسْتِرْقا
وذاك بإجماع الأئمة كلهم ... أجلُّ مكانٍ، لا خلافَ هنا يبقى
وليس بهذا من نظيرٍ بغيرها ... ولو عرشُ مولانا فلم يرق ذا المرقى
بطلعته بانت معالم خيرها ... فقد حازت التفضيل لا شك والسبْقا
فمِنْ أجله قد حنَّت العيس في الفلا ... إليها، وكان الشرق قد فتح السوقا
ولا غرو أن حنت نفوس ذوي العلا ... إليها اشتياقا مثل ما حنت الورقا
ولم نر ما بين العبير وتربها ... وحقِّك فرقا، بل ثراها سما فوقا
ولم نر ما بين السماء وأرضها ... ولا لثم خدٍ والبطاح بها فرقا
تروح لها ريح الصَبا ثم تنثني ... فتُوسِعُني من نشر حضرته نشقا
فأصدِقْ بمن قد قال عند هبوبها ... كأنّ فَتِيتَ المسك من فوقها مُلقى
فيا حسنها والليل مُرْخٍ سدوله ... وقد عبقت من طيب ساكنها عبقا
أشاهد ما لا يدرك الطَّرفُ وصفَه ... وقد أشرقت بالنور قبتها الزرقا[1]

---

(1) كانت القبة الخضراء زرقاء، إلى أن صبغها السلاطين العثمانيون باللون الأخضر.

وقالوا: يرق العيش فيها على الفتى فقلت: إلهُ الخلق قد قسَّم الرزقا
وزادوا جدالًا واجتراءً وأطنبوا فقلت: فما أحلاه عيشًا وإن رقا
فمن سار عنها يبتغي بدلا بها لقد ضل مسعاه، فَأَخْسِرْ به صفقا
ولو كان ذا عقل وعلم ثوى بها فذاك من الجُهَّال عنديَ والحمقى
هي البلدة العذراء لا عذر لامرئ سلاها وما وفَّى الغرام بها حقا
وأحْسَنَ ربُّ الكائنات عزاء من رآها، وما هام الفؤاد بها عشقا
هي العروة الوثقى فإن كنت طالبا نجاة بها لُذْ؛ إِنَّها الوَزَرُ الأوقى[24]
هي الملجا الأحمى فإن كنت تبتغي نجاتك، فاستمسك بعروتها الوثقى
حبيب لرب العالمين محبه سرى في الورى من قبل أن تعرف الومْقا[1]
فحاشا وكلّا أن نُراع وحُبُّهُ يخالط منا العظم واللحم والعرقا
بدعوته نُشْفَى، وتحت لوائه نكون إذا ما ألجَمَ العرَقُ الحلقا
ومن أجله نُرعى ومن حزب آله نجيب إذا ندعى، ومن حوضه نُسقى
له المعجزات المعجبات، فمن عصى أوامره، تبًّا وسُحقا له سُحقا
ومن قد رآها ثم لم ينزجر بها وشق العصا من بعد ذاك فما أشقى
ففي الدوح من مشي له وتحية وفي نبع عذْبِ الماء من كفه دفقا
وفي نخل سلمانٍ وفي تمر جابر وفي الوحش إذ ناجته كم آية أبقَى
وسَبَّحَت الحصباءُ مثل الطعام في يديه كما انهل الغمام إذ استسقى
وقد سمع الأصحابُ تسبيح ذين من يديه، وحتى الجذعُ أسمَعَهُ النطقا
وجاء فدرَّ الضرعَ من بعد جَدْبِه يخالص دُرٌّ طعمه قد حلا ذوقا
وجاد فأجدى أهله من نواله فأبقى لهم فضلا وأصحابَهُ أسقى
وشَقَّ على أعدائه أن ربه يدافع عنه كيدَهم دون أن يشقى
ولما تمادوا في الشقاق وعاندوا لتعجيزهم؛ بدرَ السماء له شَقَّا
وقد طرق الله الشياطين حرمة لمولده السامي عن الأُفُق الأرقى
فمن رام منهم مقعد السمع مسرعًا له؛ فنجوم الأفق ترشقهم رشقا
وفي الماء والإيوان للعُجْمِ كَمْ بَدَتْ دلائل تبني أنهم قاربوا المحقا

---

(1) الومْق: الحب.

بدت ليلة الميلاد عند كليهما فجاءت جق الماء والآخر انشقا
وألقى إليه العنكبوت رداءه فكان له ما لم تنل بعضه العَنْقَا
وجازاه خير الخلق بالحب إذ أتى ليسترن في الغار عنهم بما ألقى
وقامت به وُرْق الحمام وقاية لتصرف عنه من يريد له طرْقا
وما علموا أن الإلٰه يحوطه فقالوا: لو استخفى به نفر الورقا
فكافأها بالأمن حول ضريحه تروح وتغدو لا تُراع إذا تُلقى
وفي نسلها لازال ذلك ساريًا إلى اليوم لا بخسًا تخاف ولا رهقا
إذا أقبلتْ أبصرتَ إذلال ذي يد فيوسعُها برا وبمنحها رفقا
فيا سعدها حازت قرارا بروضه وأمْنَ نزيل لم يُغَشَّى ولا عقا[25]
هربتُ إلى رحماك يا سيد الورى لينقذني مما عرى منقذ الغرقى
وجئتُ إلى أبواب جودك مسرعًا لأطْلُب من رق الذنوب ليَ العتقا
ومن خير بحر للقريض جليتُها فكانت لجيد الشعر من مدحكم طوقا
وإني بتقصيري إليك رفعتُها جواهر مدحٍ فيك أُنْسِقُها نَسْقا
وأقبلت أرجو منك حسن قبولها وقلبِيْ مِنِ استحيائِه أكثرَ الخفقا
وأمَّلت أن أحظى برؤية وجهكم فإن صحّ ما أرجو؛ فيا خير ما ألقى
يجل لسانٌ صاغ مدحك أنه يسام بسوء أو يروم له لحقا
وحاشا الذي أضحى بجاهك لائذًا يُراع بنار أو يُرى في لظى حرقا
عليك صلاة الله يا خير مرسَل صلاة سنا أنوارها يملأ الأفقا
تلاها سلام واصلٌ لك كامل وآلك والصحب الألى نصروا الحقا

هـ[26]

الفصل الثاني

الحسام المنتضى المسنون

على من قال:

"إن القبض غير مسنون"[27]



الحسام المنتضى

اتفق أهل المغرب على المذهب المالكي منذ دخول الدولة الإدريسية في القرن الثاني الهجري، وشاع بينهم السدل في الصلاة لاعتقاد كثير من متأخري فقهائهم أنه هو السنة الصحيحة. وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري أخذ جمع من العلماء المغاربة وعلى رأسهم كبار العائلة الكتانية بالدعوة إلى القبض في الصلاة. فأدى ذلك إلى محاورة طويلة بين العلماء. وكان شاعرنا سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في أول شبابه في ذلك الحين، فكتب هذه المنظومة في نصرة القبض سنة 1319هـ (كان عمره 22 سنة) وطبعت على المطبعة الحجرية بفاس في نفس السنة. وهذا نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم حمدا لمن بيده القبض والبسط، وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا محمد أفضل أهل السماء والأرض، وعلى آله وأصحابه التابعين له في كل سُنَّة وفرض، وجميع من قفا أثره في أقواله وأفعاله من غير إلغاء ولا رفض.

أما بعد؛ فيقول العبد الفقير، النائي عن درجة أهل الجد والتشمير، عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، جعله الله ممن ليس له عن طاعته ثاني: قد وقفت على نظم في صورة السؤال عن حكم القبض في صلاتي النفل والفرض، للفقيه الأديب اللوذعي الأديب أبي العلاء مولانا إدريس العلوي الفضيلي، فأردت أن أجيب عنه، ثم ظهر لي أنه لا يحتاج إلى جواب، لأن سنة القبض لم يبق منها في المذهب المالكي بعد الإمام المسناوي ارتياب، إلا لمن طمس الله بصيرته، ولم يطهر من الأقذار سريرته.

ثم إني بعد ذلك بأيام وقفت على جواب عنه لبعض الجهلة اللئام، أتى فيه بعبارات متناقضة وترهات متعارضة يضحك منه السامع والرائي، ويظن الجميع أنه من جملة أضغاث الأحلام والمرائي، بل فيه ما هو كفر أو قريب منه في الورقة الثانية، حيث جعل الأمر بالرجوع إلى الكتاب والسنة أعظم داهية، فلم يسعني عند

ذلك إلا القيام بحقوق هذا المرام، فأجبت عنه بهذا الجواب، الذي لا يمتري من معه أدنى علم في أنه فصل الخطاب. وسميته بالحسام المنتضى المسنون على من قال: إن القبض غير مسنون، فلنذكر أولا السؤال بحروفه، ثم أتبعه بالجواب المظهر[28] لزيوفه، فأقول: نص السؤال:

أيا قابض الأيدي لدى الصف هل أتى ... حديثٌ بنبذ السدل عند الفريضةِ
وهل هو ممنوع وفيه سماجة ... فبالله خبرني على أي حالة؟
فإن كان مهجورا؛ تركنا سبيله ... ونهج الذين ينحون في كل وجهة
ونوفيَ جهل الأقدمين لفعله ... وتركهمُ للحق في كل ركعة
وإن كان مشروعا وقيل بندبه ... وفرضه عند الأقدمين الأجلة
فهذا الذي نأتي احتياطا لما أتى ... لفرضه، أولا؛ تبنا منه بسرعة
ففي السدل آثار تلتها أدلة ... عليها جميع الناس في كل بلدة
فأول حبر يقتدى بفعاله ... إمام الهدى إدريس بحر الحقيقة
أتانا بسدل في الصلاة رواية ... عن الأب عبد الله عالم طيبة
وعنه روى بحر الأئمة مالك ... لسدل يد والحق أولى برفعة
وهذا الذي في الأم عن مالك الرضى ... وفي غيرها للقبض رأي جماعة
وفي ذاك آثار رواها جماعة ... تنيف على الخمسين في عدة جملة
ولا ريب أن القبض قاله مالك ... ولكن ثبوتَ السدل في الأم حجتي
كذلك أعلام الأئمة كلها ... تقدم ما في الأم من غير ريبة
عليها مدار المذهب الألحب الذي ... سناه يباهي البدر بل للغزالة
لذلك أهل الغرب طرا تواطؤوا ... على السدل غير النزر قام بحجة
على القبض من أهل العصور التي خلت ... ولم يأتنا قبض البدور الأهلة
كمثل إمام الراسخين محمد ... ومثل إمام المُقْرَبين ابن سودة
وكالعالم الفاسي الجليل ورهطه ... وغيرهم آل الحجا والسراوة
لما فيه من تشويش عامتنا وإن ... يكن قد أتى فيه صريح الأدلة
فبالله نبئني: أكانت فعالهم ... ضلالا وزاغوا عن سبيل الشريعة؟
فإن كان في يوم الضلال سقوطهم ... فما أنت مخصوص بنيل سعادة
وإن كنت لم ترض بأفعال من مضى ... فحسْبُك فعلُ القبض دون جماعة

وإن كان تضليلا لسالف أمة فأقبحُ ما تأتيه تجهيل عِلْيَةِ
أجبني سريعا بالذي أنت ذاهب إليه وداو الصدر من داء علتي[29]

انتهى السؤال، ونص الجواب:

لك الحمد يا مُولي الأيادي العميمةِ على نِعَمٍ ليست تُسامُ بقيمةِ
وأهدي إلى خير الخلائق كلهم صلاة وتسليما لدى كل لحظة
وآل وأصحاب وكل امرئ قفا طريقهمُ في كل قبض ورخصة
وبعد الذي قدمتَ هاك جواب ما سألت بإنصاف بلا عصبية
فسرِّح به الألحاظ واقطف ثماره ورِدْ حوضه تحظى بإطفاء غلة
ولازم صراط الحق واهجر خلافه فتلك وحقِّ الله أحسن سيرة
فما فاز إلا من غدا سالكا له فكل صلاح من صفاء الطوية
أيا سائلا عن حكم قبض اليدين في تَنَفُّلِهِ طرا وعند المقامة
فخذه جوابا ما اهتدى لنظيره سوى من حباه الله أرفع رتبة
ودونكهُ من عالم عارف به بأوضح تقرير وأبهى عبارة
فقولك في البيت المقدم: هل أتى حديث بنبذ السدل عند الفريضة؟
نعم جاء عن خير الورى أنه نهى عن السدل فيها بل وفي كل ركعة
ولكنَّ حفاظ الحديث لهم به خلاف بدا كالشمس عند الظهيرة
فهل سدل ثوب أو يد أو شعورنا ثلاثة أقوال بدت في القضية
ومشترك الألفاظ يُحْمَل عندنا على ماله قد صح عند الأيمة
إذا لم يكن في اللفظ صارفه إلى خصوص لذا أو ذا كنحو قرينة
وأيضا فقد صح الحديث بأمرنا بقبض يد يا صاح في كل ركعة
ومنه أخذنا نهيه عن صلاتنا بسدل يد، فافهم تُزِلْ كل علة
إذ الأمر بالأشياء عين لنهينا عن الضرّ من دون ارتياب ومرية
فيا سادل الأيدي لدى الصف هل أتى حديث بنبذ القبض عن غير قدوة
صحيح بنقل العدل عن مثله إلى رسول به يجلى ظلام الدجنة؟
فلو دمتَ طول العمْر تبحث لم تجد سوى أمرنا بالقبض في كل وجهة
ولا تلتفت للقائلين بنسخه فذلك تغييرٌ لحكم الشريعة
فيا من له أدنى نصيب ومسكة من العقل هل نَسْخٌ وفعل الصحابة

وأتباعهم من بعدهم قدوة الورى ... وأتباعهم أهل المزايا الجميلة؟!
أجبني أجبني عن سؤاليَ بالذي ... يُنَجِّيك من هادي الدواهي الردية[30]
ودع ما ادعى عيش من ذاك قائلا ... بالارسال جاء الفعل عن أهل طيبة
فبطلان ما قد سطرته بنانه ... لكل امرئ باد بأبلغ حجة
سوى المدّ أعمى البصيرة جاحد ... لبدر الدجا أو للشموس المنيرة
فلو صحّ ما قد قال، فاعترض امرؤ ... على مالك في قوله بالكراهة
لتقديمه أعمال أعلام طيبةٍ ... على خبر الآحاد من دون شبهة
ولو صح أيضا لم يجيبوا بغيره ... وذلك لا يخفى على ذي المهارة
على أن عند الترمذيِّ خلافَهُ ... بجامعه بحرُ العلوم النفيسة
فطالعْه تلقى فيه ما قد ذكرته ... إذا كنت من أهل الفهوم السليمة
وسلّم كلامي ذا وكن تابعًا له ... فلا وجه للإنكار والعصبية
وقولك: ما معناه. في البيت بعده ... وهل هو ممنوع وهل ذو سماحة؟
جوابه: بل مشهور مذهب مالك ... هو الندب للإرسال في كل حالة
وشَهَّر ندب القبض أيضا أئمة ... أجلاء ذو قدر عظيم ورفعة
فحينئذ ساواه في شهرة ولَ ... كنِ القبض عندي زاد بالأرجحية
وما اجتمعا فيه أحق بفعلنا ... له، وهْوَ أولى عندنا بالضرورة
ويأتي لهذا ما يتمم فاستمع ... وسلم ودع أهل الفهوم السقيمة
وقولك: إن السدل قيل بفرضه ... وهِمْتَ وحق الله رب الخليقة
فما قاله شخص وليس لقوله ... كما صحح النقادُ من خير أمة
ولازمُ قول المرء ليس بقوله ... كما صحح النقادُ من خير أمة
وأيضا فذا إن لم نقل: إن منعه ... مراد به كره وتلك طريقتي
وقولك ما معناه: في السدل كم أتى ... من الأثر المروي عند الأئمة
فهذه دعوى قد خلت عن دليلها ... كما هو معلوم لأهل الدراية
فإن كان حقا ما تقول وتدعي ... وكنت بذا الميزان فارس حلبة
فسمِّ لنا من أخرجوها بكَتْبِهِم ... وعمن رووها من كبار الصحابة
على أنه قال الثقات الألى سعوا ... مدى عمرهم في جمع شمل الرواية
طلبنا حديث السدل مشرقًا ومغربًا ... فلم نلقه بعد السنين الطويلة

فإن فقتمُ حفظًا وفهمًا فبح لنا بذاك وإلا يا لها من غريبة
وإن قصروا في البحث أو كان فريةً فبالله خبّرني على أي حالة [31]
أجبني أجبني بالذي أنت ذاهب إليه وعجّل [لي] بإطفاء غلتي
وقولك: إن القطب إدريس قد روى عن الأب عبد الله عالم طيبة
لسدل يد، فهو افتراء وباطل وسفسطة دون التباس وريبة
ولم يحكه عنه سواك وذاك من أدل دليل أنه محض فرية
فإن كان منصوصًا فبيّن محله وإلا فتبْ للّه أنصح توبة
وقولك عن عبد الإلٰه: رواه ما لكٌ سيدي في كل فعل وعمدتي
وهمت فذا في سدل ثوب كما به يقول ابن رشد وهو ليث الكتيبة
كذاك عِيَّاضُ الإمامُ الذي له يد لا أضاهي في الأمور العويصة
ويؤخذ في لفظ "المدوّنة" التي بسحنون، فاترك ما فهمت بقيعة
ولازم هداك الله سنة أحمد وثابر على مندوبها والرغيبة
فليس لنا إلا اتباع الذي أتى عن المصطفى المختار في كل حالة
وقولك: إن القبض قاله مالك ولكن ثبوت السدل في الأم حجتي
فهذا عجيب منكمُ وكلامها تأوّلَه الأعلام أهل الدراية
فمن قائل: خوف اعتقاد وجوبه ومن قائل: خوفا لإظهار خشية
ومن قائل وهْو المصحَّحُ عندهم لأجل اعتماده اتباعا لسنة
وحينئذ فالإعتبار بما نرى الفضلى به، هذا لُباب القضية
فإن لم يكن للاعتماد فسنة وإلا فحقق كرهه في الفريضة
وقال أخي عبد العزيز بن جعفر بتقريظه ذا النظم حاوي البلاغة
على أن ما في الأمر عندي معارض بها في موطأ مالك دون مرية
ومهما خليلِي أمكن الجمع عندنا فبادرْ إلى التوفيق في غير مهلة
وهل يمكن التوفيق إلا بقولنا بسنة للقبض في كل ركعة؟
أقول وهذا واضح ليس يمتري به ذو حِجًا أو فكرة مستقيمة
وقولك: نبئني أكانت فعالهم ضلالًا وزاغوا عن سبيل الشريعة
جوابه: لا لا لم يكن قط فعلهم ضلالا وزيغًا عن سواء الطريقة
ولكنهم إذ ذاك قد فهموا كلا مها مطلقا عن غير قصد لسنة

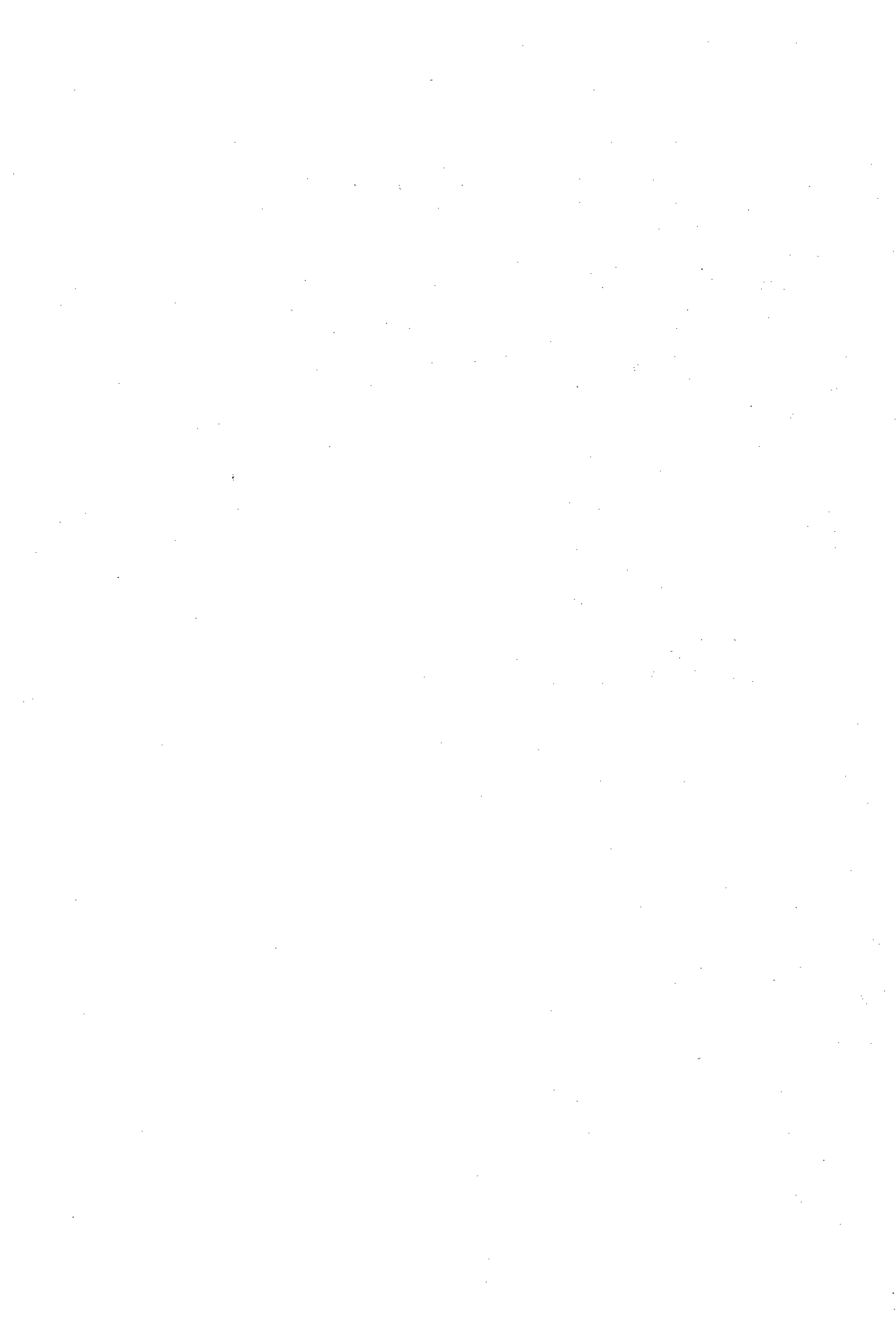
فصاروا بسدل يعملون لأنه هو النص عن متبوعهم بالصراحة
ولما أتى من بعدهم وتعقبوا على مالك في قوله بالكراهة[32]
بأنه فعل المصطفى وصحابه وأتباعهم من بعدهم دون شبهة
وكم جاء فيه من نصوص صريحة وعدة آثار حسان صحيحة
فيقبح إطلاق الكراهة في الذي به عمل المختار من دون علة
وقيل بتقييد المدونة التي عليها مدار الأمر عند الأجلة
بمن قَصْدُهُ مِن وضعه الإعتماد لا بمن قَصْدُهُ قَفْوٌ لخير البرية
غدا كلُّ من يبغي التسنُّنَ منهم يرى تركه أولى لأجل السلامة
لكونهمُ لم يألفوه بأرضهم فَيَغْمُونَ كل الفاعلين لبدعة
وينشأ عنه إن غدا فاعلا له كلام وهرْجٌ وانتهاكٌ لحرمة
وما كان فيه درء مفسدة يرى تقدمه أولى لأجل الوقاية
فإنّ اتقاءَ المرء عِرْضًا له بترِ كِ سنّةِ اَمْرٌ واجب بالأدلة
فلما رأوا ذا هكذا اقتصروا على حكاية ترجيح له في الصحيفة
وإن أمكن الإتيانُ سرا أتوا به وإلا أتوا بالصد من خوف فتنة
ولو أن أهل العصر طُرًّا تواطئوا على قبض أيديهم فعلنا بسرعة
فهذا جوابي باختصار ولو أشا لطوَّلتُهُ طولًا بدون ملالة
على أنني في العلم أحقر من يُرى ولا يد لي فيه لكشف عويصة
ولكنني حررته عن مشايخي أجل الورى في كل فضل ورفعة
كوالدنا شيخ الوجود ومن غدا بذا العصر للأعلام أفضل قدوة
وسيدنا المولى الأخ العالم الذي به اجتمعت كل الخصال الحميدة
أبي الفضل والأفضال والنور والعلا محمد السامي لأعلى منصة
أطال إله العالمين بقاهما وحفهما بالحفظ في كل وجهة
لذاك أتى هذا الجواب كما ترى وفيه الشفا للأنفس المطمئنة
سوى أنه الحق الذي بنواجذ يُعَضُّ عليه كل أهل البصيرة
فخذه دواء نافعا للذي ترى بصدرك؛ تشفى من سقام الجهالة
ودونك سيفًا قاطعًا كل حجة ترى كلهم للسدل أوثق عروة
ولا تعتبر من قد أجاب بغيره فما هو إلا ذو هوى في الحقيقة

ولولا اتقاء الله جل جلاله لألبسته بالذم أقبح حلة
جزاءً وفاقًا، سيَّما من أجابكم بظلمة أفكار بدون رَوِيَّةِ[33]
فإني بحمد الله في ذاك مفلق ولي عند ذا الميدان أبهر آية
لساني فصيح معرب ونظامه بليغ حلا في رونق وطلاوة
وفي بيتنا نور النبوءة ساطع به تنجلي عن فكرنا كل ظلمة
ولكنَّ خوف الله كف لساننا عن الزور والبهتان في كل حالة
وأسماعَنا قد كفَّها عن محارم وألسُنَنَا قد صان عن كل غيبة
وحبَّ جميع المسلمين أنالنا عليهم حُنُوًّا لا تشاب بقسوة
وشيمتنا: أن لا نقابل من أسا إلينا بإغلاظ ولا بفظاظة
ولكنْ بإحسان إليه وكل ما يحبه من قول جميل ورحمة
حبانا إله العرش ذاك وراثة من المصطفى، أعظِمْ بها من وراثة
فأبنا بتوفيق وفضل مُنَضَّدٍ وءاب[1] بخذلان وكل بلية
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا ء والله ذو الفضل العظيم الجلالة
ولكنني أرجو من اللّه أنه يؤيدكم كي تهتدوا للمحجة
فيكسبكم نورًا ويُسْمِعُ سمعكم ويفتح منكم كل عين ضريرة
وأسأل رب العالمين مواهبا تهب على قلبي بنور وحكمة
وعلما وإخلاصا ومعرفة به وإصلاح حال معْ صفاء السريرة
بأكرَمِ رُسْلِ الله أحمدَ من غدا إمامَ الهُدى مصباحَ أهل الحقيقة
عليه صلاة الله ثم سلامه وءاله من فازوا بأسنى فضيلة
وأزواجه ثم البنين ونسلهم وأصحابه أهل الصدور السليمة
صلاة بها نرقى إلى الرُتَبِ العُلا وندرك ما نرجوه دون مشقة
ويبقى على مرّ الزمان تَجَدُّدٌ لها أبدا في كل وقت ولمحة
ومذ كملت تاريخها قال منشدًا: جوابٌ حوى فضل الخطاب بصحة
وأبياتها من دون هذا وما أحا ط إيجاد حق دون زيد بعدة
ومني على قارٍ وراءٍ وسامعٍ لِذا النظمِ بالإنصافِ خيرُ تحيةِ

كتبت سنة 1219هـ [34].

---

(1) الضمير هنا يعود على المجيب بظلمة الأفكار.



الفصل الثالث

الجوهر النفيس

في

النسب الكتاني النفيس[35]



الجوهـر النفيـس

نشأ سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني معتزًّا بعائلته مفتخرًا بتشبثها بالدين وحرصها على التعليم. وكان في أول شبابه كثيرا ما يزور بيت نسّابة فاس الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني أو بيت ابنه سيدي محمد يباحثهما عن أسلاف العائلة ومشاهير رجالها، وتوّج أبحاثه تلك سنة 1318هـ بكتابة هذه القصيدة التي لخص فيها تراجم أفراد العائلة الكتانية وفصل فيها شجرتها، وهذا نصها:

"الجوهر النفيس في النسب الكتاني النفيس"

مِنْ بعد حمد الله من قد شرَّفا	آل النبي الهاشمي المصطفى
وخصهم بكل خير وافر	وكل سر ذي كمال باهر
وحَفِظَ الكل من الأرجاس	وطهر الكل من الأدناس
ثم الصلاة وسلام الله	على نبيه بلا تناهي
وآله وصحبه الأخيار	وكل من لديهمُ يجاري
أقول: ذي أرجوزة سَنِيَّة	تضمنت شعبَتَنَا العلية
سميتها: بالجوهر النفيس	في النسب الكتانيِّ الإدريسي
أسأل ربي بالنبي المصطفى	إتمامها عن عجل مع الشفا
هذا وأسأل من الإخوان	والعلماء وذوي العرفان
أن يصفحوا عما به زل القدم	وما به طغى اللسان والقلم
ويفتحوا أبواب الاعتذار	فذاك شأن الجلة الأخيار

المقدمة

وهاك قبل الخوض ذي المقدمة بقدر ذا الرهط الجليل مُعلمه
اعلم بأن النسب الكتاني ليس بمحتاج إلى برهان
لأنه اشتهر عند الناس وصحّ عندهم بلا التباس
وأذعن الناس له إذعانا إذ أيقنوا صحته إيقانا
وليس فيه عندهم خلاف كما يقول من له إنصاف
فليس يحتاج إلى دليل عند ذوي العرفان والتحصيل
فالشمس لا تخفى على من أبصرا إلا إذا فقد منه البصرا
لذاك قد صرح بالثناء عليه ذو قرب وذو تنائي[36]
وعظموه في القلوب والنفوسْ وحملوا أصحابه على الرؤوسْ
وشيدوا بنيانه تشييدا وصيروا أنفسهم عبيدا
فلا ترى في الناس إلا خاضعا لأهله إن مكرَها أو طائعا
ومن عليهمْ قد أساء الأدبا فالشر مسرعا إليه انتدبا
وذاك عند الناس مستفيض يعرفه الحبيب والبغيض
وكم لهم في الناس من كرامة هي على فضلهمُ علامة
يضيق تعبير الفصيح المِقْوَل من قبل ما يبلغ أدنى الأوَّل
وإن ترد صاح بذاك معرفة فابحث عليه عند أهل المعَرفة
أو طالعنْ ما ألف الأعلام في أمرهم؛ تحظ بما يرام
كالكوكب الساني ونظم الدرر كذا الرياض للإمام جعفر
ولابنه علامة الأعلام ومقتدى مشايخ الإسلام
محمد مؤلفٌ حفيل بذا الذي ذكرته كفيل
وغيرها مما بذكرهم ألم وذكر غيرهم إلى ذلك ضم
كالابتهاج للإمام الفاسي على الذي به من الأدناس
وكالذي وُسم بالدر السني للقادريْ عبد السلام الحسني

وكالذي سُمِّيَ بالإشراف ... وغيره من كُتُبِ الأشراف
وانظر لقول درة التيجان ... ولقطة اللؤلؤ والمرجان:
"ومِن بني محمد الإدريسي ... وعقد ذاك الجوهر النفيس
الكتانيون بذاك عُرِفوا ... ودارهم بأرض فاس تعرف
نسبهم من أوصل الأنساب ... سببهم من أوثق الأسباب
وقدرهم في الناس ليس يجهل ... قد عذب الورد وطاب المنهل"
هنا انتهى كلامه وفيه ... كفاية لكل من يكفيه
إذ شمس فضلهم على الدوام ... مشرقة صحوًا بلا غمام
فليس يحتاج إلى بيان ... لأنه أنضح للعيان
وإنما نسب للكتان ... قبيلنا ذا الواضح البرهان
لأن جدنا كبير الشان ... يحيى هو ابن سيدي عمران
أول من صنع من كتان ... أخبية إذ كان ذا سلطان
وقيل في ذلك غير هذا ... فاجعل هُديتَ حبَّهم ملاذا
وكان مستقرهم بفاس ... حفظها الله من الأرجاس
حتى تغلب عليها موسى ... ابن أبي العافية الذي سا
ورام أن يستأصل الأدارسة ... ودارهم بها تكون دارسة
وفر من فرّ من الأشراف ... إلى القرى والمدْن والأشراف
كان من القوم الذين فرّوا ... يحيى بن عمران الهمام الحبر
وهْو الذي لقب بالكتاني ... ثم جرى عليهمُ للآن
وجَدَّ في السير إلى أن وصلا ... بحَجَرِ النِّسْر هناك نزلا
مع بني العم، وبعدُ انتقلوا ... إلى زواوة وفيها نزلوا
وهِيَ من عَمَالة الجزائرْ ... أعادها الله من الحرائرْ
وبعد ذاك نزلوا بني حسن ... واستوطنوها مدة من الزمن
زمان عبد المومن الموحد ... إلى انقضا مُلكهمُ المبَدَّدِ
وبعد ذا مكناسة الزيتون ... أول دولة بني مرين
وكان فيها لهمُ صيت شهير ... وحظوة عند الكبير والصغير
وما دُرِي بالنص والقياس ... أول قادم على مكناس

ومن هناك انتقلوا لفاس   مقر أسلافهمُ الأكياس
ونزلوها في انتصاف العاشر   من القرون قال هذا القادري
وقال "نظم الدر" : في أوله   والعلم عند الله في ذا كله
وأول امرئ على فاسٍ قَدِمْ   منهم كما نص عليه من علم
من كان مالكا عُلا المكارم   سيدنا محمد بن قاسم
وعند ذكره أنبه على   ذاك وبعض ماله من العلا
ومنذ أن قد قدموا إليها   وأشرقت شمسهمُ عليها
وأهلها يعظمون قدرهم   ويشهرون في البقاع فخرهم
ويثبتون في الورى شرفهم   ويظهرون بهمُ شغفهم
ويطلبون منهم المصاهرة   كيما ترى لهم بها مفاخرة
زادهم الله سناء وسنا   وعمهم خيرا هناك وهنا
ونفع الورى بهم تنفيعا   وحفهم بحفظه جميعا[38]
وها هنا كملت المقدمة   فلنبتدئ فيما أرى أن أرقمه
لذا أقول طالبا للعون   من ربنا فهْوَ أجلّ عون

ذكر الفرع المحمدي الكتاني

ذكر عمود نسب المؤلف كان له الرحمٰن خير مسعف
هو: الفقير عابد الرحمٰن غُفِرَ ماله من العصيان
نشأ في حجر أبيه الأمجد بحر اليواقيت وكنز العسجد
وقرأ القرآن في سن الصبا وبعده إلى العلوم قد صبا
وهو على ذلك حتى الآن وبدره إلى الكمال آن
قد قرأ العلم على جماعة كلهمُ ذوو تقى وطاعة
كشيخنا والدنا الإمام وقدوة الأئمة الأعلام
وشيخنا الفرد أبي العباس إبن الخياط ذي المقام الراس
وشيخنا علامة الزمان ونخبة الأفاضل الأعيان
سيدنا الأخ الرفيع الشان محمد بن جعفر الكتاني
وشيخنا البركة الشهير مولاي عبد المالك الضرير
وغيرهم من الشيوخ الجلة الحاملين راية الشريعة
وقد أجاز ليَ جمع وافر غربا وشرقا كلَّ علم باهر
ولي من الأبنا محمد كذا إدريس والطيب طابوا مأخذا
حفظهم إلاهنا جميعا وزادني من فضله سريعا
ولي من الأخوة أربع بلا زيد ولا نقص وهم على الولا
محمد ثم الحسين أحمد وعابد العزيز كل يحمد
أما محمد فشيخ معتبَرْ ملأ ذِكْرُه البوادي والحضرْ
شرقا وغربا عجما وعربا حباه مولانا الكريم قُربا
وقدره عند الورى خطير ومجده بينهمُ شهير
كم نفع الله به من ناس وأيقظ الله به من ناس
وهُو في علوم أهل الظاهر علا وفاق كل حبر ماهر

كذاك في علوم أهل الباطن ... له مديد الباع ذو محاسن
أخذ عن أيمة أماجد ... عُمْدته منهم أبونا الماجد
وشيخه العلامة التجاني ... طريقة أحمد البناني [39]
والشيخ سيدي علي بن ظاهرْ ... المدني بحر العلوم الزاخرْ
وعنه قد أخذ خلق جم ... كل به على سواه يسمو
له من المؤلفات جملة ... (حاوية معنى الذي سيقت له)
سارت بها الركبان للأمصار ... كسلوة الأنفاس والأزهار
وكم له من الكرامات التي ... قد بهرت عقول أهل الفكرة
من ذاك أنه أتى للغرب ... قحط شديد فيه كل كرب
وكم وكم قد وقع الدعاء ... فلم يُجَبْ لأحد دعاء
حتى أشار بعض أهل الخير ... بأن يكون معهم في السير
فخرجوا به إلى الصحراء ... جهرا بالاستغفار والدعاء
فجاء غيث وابل غزير ... عم به النفع وذا شهير
أطال مولانا لنا بقاءه ... وفي مدارج العلا ارتقاءه
له ثلاثة من الأنجال ... أولاهم الله علا الكمال
محمد العربيُّ، والمكيُّ ... والزمزميُّ السيد السميُّ
هو من الطلبة الأنجاب ... وفّقه المولى إلى الصواب
وثاني الإخوة: الحسين الأمجد ... المتواضع الهمام السّيد
له محمد وعبد المالك ... هديَ نحو أحسن المسالك
ثالث الإخوة: الإمام أحمد ... وهْو مدرس فقيه أوحد
مشارك في جملة من العلوم ... نفع ربنا به نفعًا يدوم
أخذ عن والدنا الرباني ... وسيدي الأخ الرفيع الشان
وعن سواهما من الأعلام ... الحاملين راية الإسلام
له التآليف العديدة التي ... فاقت على عشرين عند العدة
ومعَ ذا ملازم للنسك ... والذكر والأوراد ذات الحبك
فلا تراه ساهيا ولاهي ... بل دائما مشتغلا بالله
وكم له من المرائي الحسنة ... وكم له من طاعة وحسنة

أولاه مولانا مقامًا حسنا   وزاده منه سناء وسنا
رابعهم: سيدنا عبد العزيز   ذو العلم والفهم مع اللفظ الوجيز
قرأ أولا كتاب الله   ثم سعى للعلم غير لاه[40]
فخاض في المسالك العلمية   ونال منها غاية الأمنية
وبدره تم بلا نقصان   إذ صار من فرسان ذا الميدان
أخذ عن جمع من الأئمة   الكاشفين كل مدلهمة
والدنا هو الإمام الأكبر   الشيخ جفعر الإمام الأشهر
روض علوم أينعت أزهاره   وعذبت لوارد أنهاره
وعالم علامة مشارك   ليس له في عصره مدارك
قد كملت أخلاقه الجميلة   وجملت أوصافه الجليلة
مع اتباع سنة المختار   فكل أمره عليها جار
والزهد والورع والعرفان   فما له في وصفه مداني
له التآليف الكثيرة التي   قد عظمت عند الورى وجلت
تقارب المائة عند العدّ   أكرمْ به من والد وجد
سوى الذي من ذاك فيه ورقة   وما أجل صفَّهُ ونَسَقَهْ
له كرامات يطول سردها   يُعْجِزُ ذا القول البليغ عدها
لكنه يجب ذكر بعضها   فذاك أحلى عندنا من رفضها
منها ظهور خاتم النبوءة   في كتفه الأيسر دون شبهة
وغيرها مما يطول عده   والقصد الاختصار ليس ضده
أخذ عن جمع من الأكابر   ذوي التقى والمجد والمفاخر
كشيخه الفرد ابن عبد الرحمن   الحُجْرَتِي ذي الفضل ثم العرفان
والعالم الكبير عابد السلام   بوغالب الحسوني بدر التمام
وسيدي علي بن ظاهر   المدني ذي الكمال الباهر
كما أجازه أبونا الكامل   وهْو المدَبَّج لدى الأفاضل
وغيرهم من علماء فاس   الطيّبي الأعراق والأنفاس
وإن تشأ [تنل] تمام المطلب   فانظره في فهرسه المهذب
وعنه جل أهل هذا العصر   من كل عالم جليل القدر

أدام مولانا به النفع العميم وحفه بالحفظ من شر الرجيم
له من الإخوة أربع لهم فضل به ربهمُ قد خصهم
محمد وأحمد علي كذاك عبد الوارث المرضي[41]
أما محمد وعبد الوارث فدرجا إذ البقا للوارث
ولمحمد أبو بكر الرضى محمد الطائع كلٌّ مرتضى
وللجميع عقب زكاه من خلق العبد ومن سواه
وعابد الوارث خلف ابنه محمدا أغلى الإلٰه شأنه
ثالث الإخوة: الهمام أحمد المتعبد الزكيُّ الأرشد
ذو الفضل والعفاف والدين المتين والنهج فيه لطريق المهتدين
أخذ عن شيخه ذي الصلاح والعلم والنجاح والفلاح
الشيخ سيدي محمد الشهير وهو ابن إبراهيم ذو القدر الكبير
رابع الأخوة: عليُّ المرتضى للحج في ذا العام راح ومضى
يا رَبِّ ردّه بخير للوطن واحفظه في مقامه وفي الظعن
والدهم: أبو العلا إدريس بحر الندا والجوهر النفيس
كان هماما بطلا مفضالا نور النبي في وجهه تلالا
وكان عدلا بالسماط صالحا ذا متجر في الصالحات رابحا
كان له أخ يسمى المنتصر وجذبه عند الأنام قد شهر
لم يتزوج قط فيما ذكروا له مناقب غدت لا تحصر
وآخر يدعى أبا حفص عمر وهو الذي رَبْع المعالي قد عمر
كان عليا قدره وفخره عدلًا وصالحًا شهيرًا ذكره
منورا مهذب الأخلاق وأخذ الورد عن الحراق
خلف ذا الأخ الأخير عقبا أربعة من الذكور نجبا
أولهم: أبو علي الحسن ذو الشرف الباذخ والهدي الحسن
له مزايا جمة تستحسن وخلق مهذب مستحسن
وهُو عدل بسماط فاس مع التحري طيب الأنفاس
له محمد كذاك الطاهر وعابد الرحيم ثم عمر
أما محمد كبير الإخوة فهُو من شهود هذي الحضرة

والسيد الطاهر ذو حال حسن	مع حياء ووقار ولسن
وقد تصدر لنشر العلم	رزقه الله سديد الفهم
وعابد الرحيم ثم عمر	كلاهما طالب علم خير[42]
ثانيهم: حمزة ذو الفخار	شيخ عليه سمة الأخيار
ملازم الأذكار والأوراد	وفضله لدى الأنام بادي
ويذكر البعض من الأنام	له كرامات كبدر سام
له محمد كذاك الطيب	وأولٌ في آننا معقِّبْ
ثالثهم: محمد المأمون	مدرسٌ معتبر مأمون
وله شعر وسط وألفا	في رهطه الذي سما مؤلفا
وكان عدلا من عدول فاس	معتبرا عند جميع الناس
ثم اعتراه بعد ذاك جذب	لازمه حتى دعاه الرب
وقد توفي قبيل ذا الأوان	عليه رحمة الرحيم المستعان
وخلف ابنه الصبي سيدي	إدريس ذا الشرف ثم السودد
رابعهم: محمد البدر السني	ذو أدب وخُلُقٍ مستحسن
له ابنه محمد الصغير	حفظه إلهنا القدير
والد الأخوة الثلاث: ذو الجمال	والنور والجلال أيضا والكمال
الطائع الشهير بالمسلطن	لهيبة بوجهه المستحسن
كان وليا صالحا ذا معرفة	وخشية منها العيون ذارفة
وكان ذا وجاهة وتؤدة	مع كرامات كثير المحمدة
له أخ محمد الملقب	بالزمزمي ذو التقى المهذب
كان وليًّا صالحًا زكيًّا	وفاضلًا وناسكًا سنيا
خلف ذا الأخ ابنه الكريما	سيدنا مولاي إبراهيما
كان وليا صالحا موصوفا	بكل خير وبه معروفا
وهو خلف من الأولاد	ثلاثة سادوا على الأسياد
وهم: محمد وعبد القادر	وعابد الرحمٰن ذو المفاخر
أما محمد فكان صالحًا	وغائبًا في جذبه وفالحا
له كرامات كثيرة ذَكَرْ	في "سلوة الأنفاس" منها ما ندر

ليس له مع عابد الرحمٰن ... من عقب في هذه الأزمان

وخلف السيد عبد القادر ... محمد البدر المنير الزاهر

أبوهما أبو العلا إدريس ... السيد المهذب الرئيس[43]

كان حسيبا فاضلا نزيها ... ودينًا بركة فقيها

له أخ يعرف بالتهامي ... ولم يعقِّب ذو مقام سامي

أبوهما محمد الملقب ... بالزمزمي السيد المقرب

كان من أهل الخير والصلاح ... والفقه والكمال والنجاح

له ثلاثة من الإخوان ... أحمد والعربي كبير الشان

وسيدي الفضيل؛ أما أحمد ... فخلف الغاليَ نِعْمَ السيد

ولم يعقِّب، وله الأخ الأجل ... السيد الحفيد ذو فضل كمُل

وهُو خلف من الأولاد ... السيد الرشيد مع حماد

كذلك المهدي وإسماعيل ... ثم سليمان الرضى النبيل

أما الرشيد فله ابنه الحسن ... وهْو له الخضر ذو الهدي الحسن

ثانيُ الأخوة الذين شادوا ... رَبْعَ المعالي سيدي حماد

كان وليًّا سيدا مجذوبا ... مولها مقربًا محبوبا

أخذ أولًا عن الشيخ الأجل ... القطب مولانا عليِّ الجمل

ثم عن الخالي من الدعاوي ... العربي بن أحمد الدرقاوي

له كرامات كثيرة العدد ... شهيرة بين الأنام لاتحد

خلف عابد السلام والحفيد ... ولم يكن له على دين مزيد

ومات الأول عقيما، والحفيد ... خلف نجله محمد الفريد

وهْو خلف سمي جده ... أولاه ربه جميل رفده

وهو بفاس من ذوي العدالة ... ورفعة الهمة والجلالة

وثالث الأخوة وهو المهدي ... كان وليًّا صالحًا ذا مجد

وكان مجذوبا ملامتيا ... معتقَدًا معظمًا سنيا

ولم يعقّب، وكذاك الرابع ... وليس فيه عندنا منازع

خامس الأخوة سليمان وقد ... كان وليًّا صالحًا دون فند

وكان سالكا طريق الرُّشْدِ ... له كرامات سمت عن عد

قد خلف العباس من مات عقيم كذاك يحيى صاحب المجد الصميم
وكان ذا وجاهة وذكر ونسُك في سره والجهر
له سليمان الفقيه الأرشد العدل ثم سيدي محمد[44]
ولسليمان السريُّ أحمد جعله المحمود ممن يُحمد
وثاني الأخوة: السريُّ العربي ذو الفضل والسودد ثم القرب
أخذ عن محمد القطب الشهير بابن الفقيه السيد الشيخ الكبير
ولم يخلِّفَنْ سوى العباس ولم يعقِّب دون ما التباس
ثالث الإخوة: الرضى النبيل أبو المعالي سيدي الفضيل
كان فقيها دينا نزيها وخيرا بركة نبيها
خلف هاشما وعبد الوافي كذا محمدٌ أخو العفاف
أما الأخيران؛ فقال من درى من خَلَفِه: لم يعقِّبْ ذَكَرا
وأما الأول: فخلف الفضيل وعابد العزيز ذا القدر الجليل
والطاهر الطيب ثم المكي وعابد السلام دون شك
خلف سيدي الفضيل العابدا كان وليا صالحا وعابدا
وكان من أهل الكرامات التي تخرق للولي كل عادة
وكان أيضا غائبا مجذوبا مقربا مولها محبوبا
خلف نجله الهمام أحمدا ومات عزبًا راشدًا مسددًا
وعابد العزيز من قد خلفه ليس له العقب ياذ المعرفة
وخلف الطاهر هاشما عمر ومات الأول عقيما، وعمر
محمدا خلف ثم الخضرا وخلف الأول بدرًا زاهرا
وهْو عليٌّ، ولسيدي الخضر محمد، حُفِظَ من كل مضر
وخلف الطيب أيضا عقبا رشيد والمعطي ولم يعقّبا
وخلف المكي هاشم الجليل ذا الهمة العلياء والمجد الأصيل
وكان ذا سريرة مرضية وخشية وحلة سنية
مع حسن أخلاق وبشر مع لين ثم تواضع مع الدين المتين
خلف إبراهيم ثم جعفرا ثم الكبير السيد المنورا
أوسطهم عقيم والمبدَّى به له ثلاثة فعُدَّا

هاشم إسماعيل والمأمون ... هذا الذي الآن له يكون
والثالث الكبير ذو القدر الخطير ... ورفعة الشأن مع الذكر الشهير
الأوحد المهذب الأخلاق ... الطيب الأنفاس والأعراق[45]
قد خاض في العلم ونال ما تمْ ... له وهذا الأمر مما قد عُلِمْ
وهُوَ عدل من عدول فاس ... بفضله أقرّ كل الناس
وله أربع من الأنجال ... وقاهم الله من الأوجال
الفاطمي والطيب الزكي ... محمد والسيد المكي
وعابد السلام خلف أبا ... طالب والغالي ولم يعقّبا
كذلك الشريفَ، وهْو خلَّفا ... محمدا له ثلاث شُرَفا
إدريس والرشيد ثم العابد ... وفّر جمعهمُ الربُّ الواحد
وَالدُ أولي الإخوة الأربعةِ ... من كملت أوصافه وجلتِ
الصالح البركة الجليل ... محمد الملقب الفضيل
كان سريًا فاضلًا وليًّا ... معظمًا محترمًا زكيًّا
صاهره الإمام مدَّاحُ النبي ... الشيخ أحمد الأديب الحلبي
والشيخ أحمدٌ همام معتبر ... وقدره عند الورى قد اشتهر
منشأه كان بأرض حلبِ ... وكان أيضا شافعيَّ المذهب
وكان حبرا عالما جليلا ... وصالحا بركة نبيلا
وكان عارفا عليّ المنصب ... بفضله اعترف أهل المغرب
وكم له من المؤلّفات ... ذات المحاسن المرونقات
وكان ذا نظم بليغ فائق ... يطرب كل صامت وناطق
ترجمه الوالد في الرياض ... وقال فيه كل وصف راض
وشيخنا في سلوة الأنفاس ... في علماء وصلحاء فاس
وقد ألم بجميل ذكره ... القادري ابن طيب في نشره
والعلمُّي في الأنيس المطرب ... فلتنظرنَّها تفز بالأرب
بابنته ذات المزايا الفاخمة ... والحسن والجمال، وهْي فاطمة
وهي أم الأخوة الأربعة ... الصلحاء الفضلاء الجلة
فيالها منقبة عظيمة ... ونعمة فخيمة جسيمة

حق لنا [به] الهناءُ والسرورْ   إذ عمنا قول إلٰهنا الغفورْ

مخاطبا الشيخ أحمد الشهير   بالحلبي صاحب القدر الكبير

لأجعلنَّ من بنيك الشرفا   لو لم يكن لنا سواها لكفى[46]

كان له الأخ الذي لم يلدِ   عبد العزيز ذو السنا والسؤدد(1)

كذا محمد السري الأرشد   وهْو له ابنه السني أحمد

ولم يعقب أحمد المذكور   رحمه إلٰهنا الغفور

أبوهم هو الجليل الأمجد   السيد العَرَبِيُّ نعم السيد

إخوته ثلاثة: علي   ثم الرضى مسعودٌ السري

وعابد الوهاب، أما الأول   له أبو طالبٍ المبجل

كذا علي والسري الطاهر   والسيد الأرشد عبد القادر

أما الأخيران فلم يعقّبا   والثاني: مَن تَرَكَهُ ما عقبا

وأولٌ خلف عبد الله   وكان من صحب وليّ الله

محمدٍ ابن الفقيه الكامل   العارف الشيخ الهمام الواصل

وهُو خلف الولي الصالح   أعني: أبا طالبَ خيرَ فالح

والسيد المكي ثم الطيبا   والثاني والثالث لم يعقِّبا

وأولٌ خلف عبد الله   كذاك أحمد بلا اشتباه

ثم محمدا كذاك العربي   ومن عدى ذين لم يعقِّب

فثالث خلف أحمد وما   خلف قط ذكرًا فلْتعلما

والعربيُّ خلّف المهديَّ   ثم التهامي السيد المرضيا

كذلك الفرد الهمام الطيب   ثم محمدا وفيه العقب

له عليْ المكنّى: زين العابدين   يعرف بالعابد بين العالمين

خلف نجله السري الأنورا   محمدا أزكاه من قد صورا

ثانيُ الإخوة الرضى مسعود   له علي وله مسعود

كذلك الحسن ثم الطيب   ثلاثة كلهمُ ما عقبوا

وعابد الوهاب رابع بني   محمد ذي الخلُق المستحسن

---

(1) بل ولد القاسم الذي لم يلد.

خلف نجله السريَّ الأمجدا محمد المعظم الممجدا

قد كان أيضا من كبار صحب محمد الشيخ الإمام القطب

وكان سيدا فقيهًا عالما مدرسًا معتبرًا معلما

متصفًا بالخير والنزاهة والدين والعفة والوجاهة

خلف هاشما ولم يعقبا عليه رحمة الرحيم المجتبى[47]

والدهم هو الرفيع الشان ذو الفضل والكمال والعرفان

مَحمد بالفتح وهْو الجامع حرر ذا الفرع بلا منازع

ذكر الفرع الأحمدي الكتاني

له أخوه أحمد المرضي ... السيد المعظم الزكي
خلف أربعًا من الأنجال ... محمد الفقيه ذا الإجلال
كذاك عابد العزيز وعلي ... ثُمَّتَ إدريس المعظم العلي
أما محمد فعالم نبيل ... علامة مؤرخ حبر جليل
له من المؤلفات "النصرة" ... كذلك "التنبيه" فاعرف قدره
أخذ عن نجل علي الفاسي ... وولديه الطيّبي الأنفاس
خلف نجله أبا العباس ... ولم يعقب دون ما التباس[1]
وعابد العزيز خلف بنين ... ثلاثة وهم ذوو الدين المتين
عبد المجيد عابد الرحمن ... كذاك أحمد العظيم الشان
عبد المجيد خلف المفضلا ... محمد الملقب المفضلا
بموته عقبُه قد انقطع ... وفر ربي من بقيْ ولا قطع
وعابد الرحمن سيد جليل ... وكان ذا مجد مؤثل أصيل
قد أخذ الطريق عن محمد ... ابن الفقيه السيد المسدد
خلف نجله أبا العلاء ... إدريس ذا الفضل بلا خفاء
كان أريبا ماجدا وجيها ... وطالبا بركة نبيها
وهو خلف الجليل القدر ... محمدا وهاشما ذا السر
محمد خلف نجلا أفضلا ... محمد الملقب المفضلا
مات مراهقا، وأما الثاني ... فهُو من أفاضل الأعيان
وكان طالبا نجيبا سيدا ... موفقا مهذّبا مسددا
خلف نجله العظيم الشأن ... سيدنا الطائع ذا العرفان

---

(1) بل عقّب، ومن ذريته: الولي الصالح سيدي الوليد بن هاشم بن إدريس بن أحمد المذكور. راجع ترجمته في "النبذة".

كان كثير الذكر للإلاه   ليس له عن ذكره من لاه

وكان سيدًا نزيهًا ماجدا   مع تنسّك فقيها عابدا

وكان أيضا صاحب الدين المتين   مطهَّرُ الساحة مما قد يشين

وهُو خلف ابنه الوليدا   وهاشما وسيدي الحفيدا

فسيدي الوليد خلف الحسين   وله عبد مالك من دون مين[48]

وسيدي هاشم خلف عمر   كذاك إدريس السري المعتبر

وعابد العزيز معْ محمد   وعابد الرحمٰن كل مهتدي

فعمر خلف نجله الحسن   له محمد لدى هذا الزمن

وصنوه إدريس وهْو الثاني   ولده مات بذي الأزمان

بموته انقرض منه العقب   ومن بقيَ كلهم ما عقبوا

وللحفيد ولدان وهما   إدريس معْ محمد فلتعلما

ثالث الإخوة: السريُّ أحمدُ   خلف نجلا اسمه مَحمد

بالفتح كان سيدا وليا   بركة معتقدا سريا

وكان أيضا مستجاب الدعوة   حكاه بعض الشرفاء الجلة

وهُو خلف الولي الأكبرا   الصالح الشيخ الهمام الأشهرا

وهو الشريف السيد المحبوب   محمد المقرب المجذوب

له كرامات شهيرة على   ألسنة الناس جميعا تجتلى

والعارف الشيخ الكبير الشان   قطب الزمان الظاهر البرهان

من أجمع الناس على إجلاله   لما رأوه من عجيب حاله

سيدنا الطيب ذا المعارف   وهْي سمت عن وصف كل واصف

كان وليًّا كاملًا مكملا   وسيدًا موصلًا وواصلا

وظهرت له الكرامات التي   ليس لها عند الورى من عدة

فلا ترى إلا الذي يقول   قد عجزت عن حصرها النقول

ولابن عمنا الفقيه الأشهر   محمد المامون نجل عمر

مؤلف، وبالغمام الصيِّب   سماه في المولى الإمام الطيب

وللوزير السيد الرئيس   مالك كل أدب نفيس

محمد وبابن إدريس عُرِف   مؤلف فيه عليه لم أقف

وسيدي أحمد والتهامي   كذا الحفيد ذو المقام السامي

ولم يعقِّب واحد منهم ذَكَرْ   إلا الحفيد ثم أحمد الأغر[1]

فالثاني خلف ذوي القدر الجليل   محمد كذا الحسين والفضيل

ولم يعقِّبوا، وأما الأول   وهْو الحفيد السيد المبجل

فخلف الغاليَ معْ محمد   والسيد الهادي العظيم السودد[49]

وخلف الغالي أبا العلاء   إدريس والطيب ذا العلاء

كذا محمد، فعند الأول   محمد والحسن البدر العلي

والطيب الصدر له نجلان   مَحمد وعابد الرحمن

ولمحمد المعظم النزيه   عبد السلام ومحمد النبيه

والسيد الغالي سمّي جده   أولاهم الله جليل رفده

وثاني الإخوة: محمد الشهير   خلف بنَّاصر ثمت الكبير

والثاني: خلف ابنه الفريدا   محمدا والسيد الحفيدا

فأول له السري أحمد   والثاني نجله الكبير الأوحد

ولم يعقب السري الهادي   ذو المجد والنور السني البادي

ثالثهم: ذو القدر الأرفع العلي   والهمة العلياء سيدي علي

خلف بعد الجوهر المكنونا   أبا المعالي سيدي حمدون

خلف نجله السري الأرشدا   الخضر المعظم الممجدا

بموته انقرض فرع سيدي   عليٌّ المبجَّل الممجد

والجوهر المعتبر النفيس   أبو العلاء سيدي إدريس

خلف أربعًا من الأولاد   محمد كذاك عبد الهادي

وعمر كذاك عبد المالك   فمالهم من عقب هنالك

أما محمد وعبد المالك   فما لهم من عقب هنالك

وثالث الأخوة: عبد الهادي   قد كان سيدا من الأسياد

وكان من كبار أصحاب الولي   محمدٍ ابن الفقيه الواصل

---

(1) بل التهامي أعقب أحمد، الذي أعقب محمد والحسن والفضيل، أما أحمد بن محمد؛ فقد خلف الحسن.

خلف طاهر الرضي وهاشما ولم يعقّبا معا فلتعلما
كذا مَحمد بفتح الأول مع أحمد المعظم المبجل
أما مَحمد فخلف علي ذا المجد والخير مع القدر العلي
وهُو خلف ابنه مَحمدا بالفتح، وهْو لم يخلف ولدا
وأحمد خلف ستة بنين محمد المعروف بين العالمين
بالهاشميِّ، ثم عابد المجيد وعابد السلام ذا القدر المجيد
وعابد الله كذاك عمر والسيد الهادي الهمام الأكبر
وكان مجذوبًا وفيه العقب وما عداه كلهم ما عقّبوا[50]
وهُو خلف أبا العباس بالذهبي عرف بين الناس
له محمد كذا إدريس والطيّب المبجل النفيس
ورابع الأخوة وهو عمر السيد المعظم المنور
كان فقيها فاضلا نزيها ذا رفعة وعفة نبيها
خلف هاشما وعابد المجيد والسيد الأوحد ذا الفضل المديد
سيِّدَنا السريَّ عبد الواحد العالي [في] الهمة ذا المحامد
كان وليًّا صالحًا جليلا وخيرا بركة نبيلا
خلف نجلين: السري الأكملا الصالح البركة المبجلا
وهو الهمام عابد الوهاب منبع السنّة والكتاب
والسيد الفقيه ذا الصلاح والعلم والفلاح والنجاح
والكشف والدين وترك الشبهات سيدنا أحمد رب المكرمات
فعابد الوهاب خلف الحسين والعربي محمدا من دون مين
فسيدي الحسين لم يعقّبِ وخلف البدر المنير العربي
ولده وهو الحسين المرتضى بموته عقبه قد انقضى
وثالث الإخوة أيضا خلفا السيد الغاليَ، وهْو خلَّفا
السيد اليزيد ثمت أخاه مولاي إبراهيم من دون اشتباه
وسيدي أحمد خلف بنين السيد الطيب ذا الفضل المتين
وطاهرًا وعابد العزيز وعابد الواحد ذا التبريز
ولم يعقّب أول، والثاني له من الأولاد فرقدان

سيدنا محمدا وأحمدا وثالث خلف أيضا أحمدا
كان عقيما والسريّ الأمجدا عمر ثم سيدي محمدا
وعابد الواحد، أما عمر له محمد السني الأصغر
وسيدي محمد المعظم له أبو العباس ثم قاسم
والسيد الأرشد عبد الواحد له ابنه الطيب دون زائد
ورابع الإخوة عبد الواحد خلف نجله الهمام الماجد
محمدا كان وليا صالحا وعارفًا مكاشفًا وفالحا
أخذ جملة من الأوراد عن المشايخ ذوي الإرشاد[51]
كالعارف المظهر ما تنوسي محمدِ الشهير بالسنوسي
وذي الكمال والسنا القدوسي محمدٍ عُرف بالقندوسي
ومن لكل باطل دماغ مولاي عبد الواحد الدباغ
والسيد العارف ذي الأتباع محمدٍ صالِح السباعي
وكأبي البنا الولي الصالح ربّ العلا محمد بن صالح
وغير ذاك من أكابر الشيوخ ذوي الثبات والكمال والرسوخ
وعنه قد أخذها جماعة أجلهم لذي التقى بضاعة
شيخ المشايخ ذوي العرفان سيدنا الوالد ذو الإتقان
ونجله الشيخ الجليل الأشهر عبد الكبير ذو الكمال الأظهر
والصالح البركة ابن العم حمزة ذو الفضل [العظيم] الجم
ولم يزل بدره ينمو في سما معرفة حتى غدا متمما
والناس كلهم إليه هرعوا للأخذ عنه كي به ينتفعوا
ولم يزل يلقن الأورادا إلى الممات كل من أرادا
خلف إدريس الرضي محمدا وعابد الكبير ثم حامدا
وسيدي مولاي إبراهيم السيد المهذب العظيم
خلف إدريس ابنه وقد مضى بموته العقب منه انقرضا
والثاني خلّف ابنه محمدا وعابد الله السري الماجدا
وخلف الأول طفلًا وحده لكنه قد مات أيضا بعده
وثالث الإخوة عابد الكبير ذو الخُلُق الحَسَنِ والذكر الشهير

هو الإمام العالم الرباني ذو الفضل والكمال والعرفان
قرأ في فاس علوما جمة على المشايخ هداة الأمة
كشيخنا الوالد ذي الإتقان ثم المسنّ أحمد البناني
وحين حجّ معْ أبيه الماجد أخذ عن جمع من الأماجد
كالعارف الكبير ذي النور القوي سيدنا عبد الغني الدهلوي
وبعد ما مات أبوه انْتُصِبَا يلقن الورد لمن قد رغبا
له محمد وعبد الحي كذاك أحمد بدون لي
أما محمد فشيخ مشتهر وبحره على الدوام منهمر[52]
قد ضم علم باطن لظاهر منور القلب جميع الظاهر
له زوايا جمة بالمغرب ليس لبدر حسنها من مغرب
ولم يزل إلى الإله داع وفي الذي يرضاه منه ساع
حتى به قد عم الانتفاع وكثر الخدام والأتباع
أخذ عن جمع من المشايخ طودهمُ لدى العلوم شامخ
أجلهم شيخ الأنام والدي مولاي جعفر أبو المحامد
ونجله محمد الإمام الحافظ المحدث الهمام
وعنه قد أخذ جمع وافرْ شرقًا وغربًا ماله من حاصرْ
له من الأبنا السري المهدي كذلك الباقر دون زيد
وعابد الحي همام فاضل بفضله قد شهدت دلائل
وبرواية الحديث قد عني وجد في تحصيله ولم ين
وكُتُبٌ فيه له عديدة كأنها جوهرة فريدة
له شيوخ جمة بالمغرب يسمو بهم فخرًا لأعلى منصب
وقد أجيز من شيوخ المشرق فبدرُه بذاك أبهى مشرق
وعندما حجّ أخوه استخلفه على التلاميذ فنال شرفه
وأحمد لازال في سن الصبا جُعل للنفع به منتصبا
وحامد له ابنه إدريس حفظه إلاهنا القدوس
وخلف السيد إبراهيم محمدا كذاك إبراهيم
تنبيه: قد ترجم للمعظم سيدنا الوليد نجل هاشم

سيدنا الشيخ الإمام جعفر وقد جهلت الآن أين يذكر[1]
كان وليًّا كاملًا مجذوبا وصالحًا مقربًا محبوبا
وكان ذا كشف وإخبار بما غاب عن الناس كما [قد] عُلما
ترجمه في "سلوة الأنفاس" أيضا بلا شك ولا التباس
هذا وقد كمل فرع أحمد أخي محمد الهمام الأمجد
كلاهما ابن صاحب القدر العلي ذي الشرف الباذخ مولانا علي
وهْو ابن قاسم ابن مولانا أبي فارس عابد العزيز الطيب
السيد المقرب المحبوب المجتبى للحضرة المجذوب[53]
كان وليًّا صالحًا مكاشفا معظمًا عند الورى وعارفا

(1) بل هو الوليد بن هاشم بن إدريس بن أحمد ابن العالم الفاضل أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي الكتاني.

ذكر الفرع المكناسي الكتاني المنقرض، ورفع عمود الشرفاء الكتانيين

له أخوه صاحب الذكر الشهير الأفضل المنيف ذو القدر الكبير
سيدنا أبو الجمال طاهر السيد المعظم الموقّر
خلف نجله الهمام الأكبرا السيد الطود المنيف الأشهرا
وهْو أبو الحسن سيدي علي ولم يعقّب وهما ابنا الأفضل
السيد المعظم الشهير الماجد المفضل الخطير
محمد القادم من مكناس على مدينة الجدود فاس
كان وليا صالحا كبيرا معظما بين الورى شهيرا
مشتغلا بنفسه معَ خشوعْ ثم تواضع وذكر وخضوعْ
والزهد والورع والصمات وكثرة الصيام والصلاة
كان لذا القادم من مكناس أخ ثوى بها بلا التباس
وهْو أبو العباس أحمد وقد خلف عبد الواحد الحبر السند
وهو خلف أبا العباس أحمد ذا القدر العلي الراس
وهو خلف علي الأمجدا السيد المعظم المسددا
وهو خلف أبا المفاخر أحمد معْ مولاي عبد القادر
وخلف الثاني سيدي علي وخلف الأول ذا القدر العلي
وهْو أبو طالبِ الزكي وله عبد قادر علي
فأولٌ: له السريُّ أحمد وله عبد قادر محمد
ومنهم انقطع فرع أحمد أخي الولي سيدي محمد
أبوهما القاسم عبد الواحد والده نجل علي الماجد
ابن محمد بن سيدي علي وهو ابن موسى بن أبي بكر العلي
ابن محمد بن عبد الله ابن الهمام السيد الأواه
سيدنا الهادي الرفيع الشان ذي الفضل والكمال والإحسان

ابن الشريف الفاضل الأصيل الكامل الممجد الأثيل
سيدنا يحيى أمير الناس بذاك يعرف بلا التباس
فقيل: كان ملكًا، وقيل: بل لما له من المهابة كمل
ابن الإمام الصالح الولي مولاي عمران الرضى السمي[54]
ابن الولي الصالح الجليل حاوى الكمال عابد الجليل
ابن الإمام السيد السميِّ يحيى الأمير المرتضى السَنِيِّ
ابن أمير المؤمنين يحيى من لشريعة النبي أحيى
ابن الإمام الأكبر الممجد مالك كل شرف وسودد
سيدنا محمد الخليفة من خصّ بالشمائل اللطيفة
أوصى له أبوه بالخلافة وما أراد ربنا خلافه
فقام فيها أحسن القيام بغاية الجد والاهتمام
وهْو ابن من قد ظهرت أسرارهُ وسَطَعَتْ على الورى أنواره
وقدره بينهمُ قد اشتهر وبحره على الدوام قد همر
قطب الورى أبي العلا إدريس مالك كل مظهر نفيس
مَن كل مدح في جنابه يسير ولو أتى بألف سفر فقصير
وهو ابن محيي سنة الرسول ممدّ كل رائد بالسول
من فتح الله به مغربنا وعمه به سرورا وهنا
قطب الورى وبضعة المختار ومعدن الأسرار والأنوار
من لا تفي بوصفه الأقلام وحار دون بعضها الأعلام
سيدنا إدريس نجل الكامل سيدنا عبد الإلٰه الكامل
ذي الفضل والأفضال والإجلال ومعدن الكمال والجلال
حائز فضل الحسنين كله المقتدى بقوله وفعله
ابن الإمام الحسن المثنى مالك أسمى شرف وأسنى
ابن الإمام أول الأقطاب ومعدن الحكمة والصواب
سبط النبي ذي الكمال الحسن نجل عليٍّ ذي المقام الأحسن
ليث الوغى وسيّد الأبطال وباب علم سيّد الإرسال
وصهره ثم أخيه المصطفى ورابع الصحب الهداة الخلفا

وأول الصبيان في الإسلام   وكم له في الفخر من مقام
قد نزلت في حقه آيات   هي على رفعته آيات
وصح عن خير الورى آثار   بهاله قد شُيد المنار
ولم يرد في غيره عنه كما   وَرَدَ فيه، قاله من عَلِمَا[55]
ونجل ذات المنصب السمي   ثم السناء والسنا السني
فضلى النساء مطلقًا على الذي   نختاره وهْو الصواب فاحتذي
ذات الخصائص التي لا تحصرْ   والفضل والنور الذي لا ينكرْ
مولاتنا فاطمة البتول   بنت النبي المصطفى الرسول
محمد سيد الأنبياء   وخير أهل الأرض والسماء
وهو ابن عبد الله ذي المقدار   والفضل والجمال والفخار
من جمُلت أوصافه وحسُنت   أخلاقه بين الورى وكمُلت
صلى عليه ربنا وصحبه   وآله وكل أهل قربه

الخاتمة

خاتمة هذي وما أحسنها   أسأل ربي بالنبي حسنها
نقلتها من "درة التيجان   ولُقطة اللؤلؤ والمرجان"
للعالم المحقق الدلائي   من لم يُخَض بحره بالدلاء
تبركا بلفظه الشريف   ولبديع حسنها المنيف
وللذي لها من المناسبة   ولعظيم النفع فيها قاطبة
قال حباه ربنا رضاه   وعمه برحمة تغشاه:
"خير البيوت بيت آل المصطفى   ساداتنا أهل الوفاء والصفا
وخير آل البيت عند الله   أفضلهم أتقاهم لله
أحظاهم أرضاهم في العمل   أقربهم أبعدهم من زلل
أشرفهم أعرفهم بالله   الحافظون لحدود الله
الواقفون عند ما به أمر   العالمون بالكتاب والخبر
فإن تقوى الله خير ما اكتسى   به الشريف وارتضاه ملبسا
وإن حرمة الرسول أعظمُ   وحفظها على بنيه ألزم
وحقه على الجميع واجب   وفي بنيه الأقربين أوجب
لما أتى الحقُ الرسولَ ودعا   وأمَر الله به أن يصدَعا
أول من سبق في الإنذار   وقدم الرسول في الأعذار
الأقربون خصهم وعما   بنتا وعمة كذاك عما
حتى دعا الواحد بعد الواحد   ولم يغادر منهم من أحد
كفاك فيه شاهدًا مبينا: أنذر عشيرتك الأقربينا[56]
فهم أحق الناس بالتعظيم   ورعي هذا الجانب العظيم
وحِفْظِ حُرمة الرسول المصطفى   في الاتباع والقيام والوفا
ولا كرامةٌ كتقوى الله   تكون في بيت رسول الله
لا ينبغي لبضعة المختار   وطلعة الأسرار والأنوار

أن تـطَّـلِـي بـقـذر الـمـعـاصـي ويُـوسَـمَ الـشـريـفُ بـاسـم الـعـاصـي
ويـلـبـس الـشـريـفُ ثـوب دنَـس مـن بـعـدمـا كـان بـأزهـى مـلـبـس
ويـنـسـب الـسـوءُ لآل الـحـسـن لـلـه مـا أعـظـمـه فـي الألـسـن
لـو لـم يـكـن إلا الـحـيـاء لـكـفـى من وجه ذلك الرسول المصطفى
والـلـه مـا يـسـمـو بـهـذا الـنـسـب ويـنـبـغـي لأهـل هـذا الـمـنـصـب
إلا الـتـحـلـي بـمـحـاسـن الـحُـلَـى مـع الـتـخـلـق بـأخـلاق الـعـلا
حـتـى يـكـونـوا كـبـدور فـي سـمـا ونـورُهـم يَـسْـمُـو عـلـى كـل سـمـا
فـعـنـد ذاك تـكـمـل الـخـصـال ويـنـتـهـي الـشـرف والـكـمـال
وتـنـزع الـفـروع لـلأصـول وتـظـهـرنَّ سِـمَـةُ الـرسـول
ويـلـتـقـي شـرف الاكـتـسـاب مـعْ شـرف الأصـول والأنـسـاب
فـهـذه وصـيـتـي لـلآل نـصـيـحـةَ الـخـدم لـلـمـوالـي
إن قـبـلـت فـذاك مـنـهـم كـرمـا أو لا ؛ فـلا عَـتْـبٌ عـلـى مـن خـدمـا
وغـيـرة الـعـبـد عـلـى ذاك الـحـمـى والـنـسـب الـمـحـمـدي الـمـحـتـمـى
أنْـطَـقَـتِ الـلـسـان والـجـنـانـا لـلـعـبـد حـتـى أرسـل الـعـنـانـا
والـلـه يـعـلـم مـا فـي الـسـرائـر ويـفـتـح الـقـلـوبَ والـبـصـائـر"
هـنـا انـتـهـى كـلامـه الـنـفـيـس وحـسـنـه لـيـس بـه تـلـبـيـس
طـوبـى لـمـن بـحـسـنـه تـجـلَّـى وعـن خـلاف ذاك قـد تـخـلـى
لـلـه مـا أحـسـنـه وأفـخـمـه ومـا أجـل قـدره وأعـظـمـه
وفـقـنـا الـلـه لـكـل خـيْـر بـفـضـلـه فـي سـرنـا والـجـهْـر
يـا ربـنـا يـا ربـنـا يـا ربـنـا هـب لـيَ عـنـدك مـقـامـا حـسـنـا
وتـب عـلـي تـوبـة نـصـوحـا فـلا أرى مـن بـعـدهـا جـمـوحـا
ونَـوِّرَنَّ بـاطـنـي وظـاهـري وأصـلـحـنَّ أولـي وآخـري
وعَـرِّفَـنِّـي بـعُـلاك مـعـرفـة ليست تُرى عن حضرتي منصرفة[57]
تـصـحـبـهـا لـك مـشـاهـدات تـكـون لـي مـعْـهـا مـكـالـمـات
مـع الـسـلامـة مـن الآفـات أخـرى وفـي الـدنـيـا إلـى الـوفـاة
واجـمـع فـؤادي ربـنـا عـلـيـكـا حـتـى أكـون دائـمـا لـديـكـا
وارفـع مـنـار ديـنـنـا الـمـحـمـدي وانـصـره يـا رب دوام الأمـد

ودمّـــرنّ أعـــداءنـــا تـــدمـــيـــرا ولا تُـــخَـــلِّ مـــنـــهـــمُ نـــفـــيـــرا
وكـــل مـــا لـــلـــمـــســـلـــمـــيـــن كـــادوا رب إلـــى نـــحـــرهـــمُ يـــنـــقـــاد
بـــجـــاه أفـــضـــل الـــورى مـــحـــمـــد وآلـــه وصـــحـــبـــه والـــمـــقـــتـــدي
وقـــد تـــنـــاهـــت دونـــمـــا تـــوانـــي مُـــحْـــكَـــمَـــةَ الأســـوس والأركـــان
كـــامـــلـــة الـــتـــنـــقـــيـــح والإتـــقـــان واضـــحـــة الألـــفـــاظ والـــمـــعـــانـــي
تـــكـــاد مـــن عـــذوبـــة الألـــفـــاظ تـــشـــربـــهـــا مـــســـامـــع الـــحـــفـــاظ
ســـنـــة ســـت عـــشـــرة مـــع ثـــلا ثـــمـــانـــئـــة وذاك لألْـــف تـــلا
ســـوى مـــزيـــد حـــاز كـــل زيـــن أبـــيـــاتـــهـــا راقـــت بـــدون مـــيـــن
فـــأحـــمـــد الـــلـــه الـــذي يـــسَّـــرهـــا ومـــنـــه أرجـــو نـــفـــع مـــن نَـــظَـــرَهـــا
وبـــصـــلاة الـــلـــه والـــســـلام عـــلـــى الـــنـــبـــي وآلـــه خـــتـــام
مـــا نـــال كـــل واصـــل وِصـــالا وازداد كـــل كـــامـــل وَصَـــال[58]

الفصـــل الـرابـــع

مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

وآل بيته الكرام

ومدينته العامرة

1 - قصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم.

2 - قصيدة في ختم شمائل الترمذي.

3 - قصيدة في مدح السيدة فاطمة الزهراء.

4 - "إظهار ما بطن من حب الوطن"[59].



1 - قصيدة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم

كان لسيدي عبد الرحمن الكتاني حب شديد للمصطفى صلى الله عليه وسلم وتعلق بسنته وتعاليمه. وقد طلب منه بعض الأقارب نظم قصيدة في مدحه صلى الله عليه وسلم فقال مبتدئا وغير مكتمل:

قيل لي: قل؛ تفز أجلّ مديح ... في جناب النبيِّ خير مليحِ
قلت: حيث الإلاه أثنى عليه ... فلقد جل قدره عن مديحي
كيف يحصي مديحه قط شخص ... أو يدانيه بالنظام الفصيح؟!
يا رسول الإلٰه عجل شفاء ... لفؤادي من الذنوب جريح
ماله ملجأ سواك وحاشا ... أنت بحر الندى العميم الفسيح
صل يا رب ثم سلم عليه ... وذويه وصحبه[أهل الصروح](1) [60]

2 - قصيدة في ختم شمائل الترمذي

كان سيدي عبد الرحمن الكتاني كثيرا ما يحضر دروس الحديث في جامع القرويين وفي غيره من المساجد التي كانت في ذلك الحين مدارس لنشر العلم والدين بين الخاصة والعامة. وقد ألقى هذه القصيدة على لسان بعض أصحابه في ختم الفقيه السيد التهامي المكناسي لشمائل الترمذي، وهي من البحر الخفيف:

حدِّث الصَبَّ عن صفات الحبيبِ ... وأعِدْها على الفؤاد الكئيبِ
حيث لم يسمح الحبيبُ بوصل ... فسماع الحديث عنه نصيبي
لا تخف عاذلًا يلوم فإني ... لست أصغي لعاذل ورقيب
ليت شعري متى رأى العينَ جدَّت ... بي سيرا إلى حماه الخصيب
تقطع القفر والمهامه حتى ... عند خير الورى يحل نجيبي
أكرم العالمين طرًا فقل فيه ... الذي لذّ من بليغ النسيب
ماله في الورى نظير وحاشى ... أن تضاهى صفاته لمُنيب
عن بلوغ الكمال في مدحه قد ... قال بالعجز كل شخص أديب

---

(1) لم تكتمل القصيدة، فجبرناها بما ذكر. مصحح.

فهْو فرد الأنام ذاتًا ووصفا وبهذا أقر كل مصيب
ليتني نلت رؤيةً من سناه في حضوري وعند كل مغيبي
فبها يشتفي الفؤاد يقينا وأنال الغنى بها عن طبيب
وإذا فاتني جمال المحيا لم يفتني سماع وصف الحبيب
من كتاب "الشمائل" الفائق اليا قوت في حسنه البديع العجيب
للإمام الهمام ذي القَدَر الرا سخ في العلم واتقاء الرقيب
من علا قدره عُلُوًّ سماء بل سما فوقها بدون قريب
حامل السنة الشريفة ذي الحفظ والإتقان والفخار الرحيب
ذي المعالي محمدِ الترمذيٍّ نجل عيسى بن سورة ذي النجيب
جعل الله منه في كل وقت رحمات تغشاه دون لهيب
فلقد قَرَّط المسامِع منا بالذي فاق نغمة العندليب
وحبانا بذا الكتاب، حباه الله حوراء ذات ثغر شنيب
إذ ختمناه خير ختم على الشيخ الفقيه الأرضى الهمام الحسيب[61]
من غدا مالكا جميل السجايا وله في العلوم أوفى نصيب
ذلك العالم التهاميُّ من يُعزى لمكناس ذي البهاء القريب
زاده الله رفعة وجلالا في بعيد من الورى وقريب
ولقد كان ذلك الختم في جمع بدا فضلهم لكل أريب
سادة أشرقت بهم أرض فاس هب منهم على الورى عرْق طيب
سيما السيد الكبير الذي ازدا ن به العصر ذو الجمال المهيب
حاز كل الكمال طفلًا فطابت منه لخلاق طيب ورد نصيبي
حفظ الله بدرهم من خسوف ووقاهم شر العدا والنحيب
وحبانا برحمة وبغفرا ن ذنوب لنا أجل مجيب
بالنبي المهذب المجتبى خير البرايا طرا دون ضريب
صلّ يا ربّ ثم سلّم عليه ما رقى فوق منبر من خطيب
وعلى الآل والصحابة ما غنى حمام من فوق غصن رطيب
وشدا منشد يقول جهارا حدِّثِ الصَّبَّ عن صفات الحبيب

3 - قصيدة في مدح السيدة فاطمة، رضي الله عنها

قال سيدي عبد الرحمن الكتاني: الحمد لله، وقلت في مدح مولاتنا فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، لما اقترح علي ذلك ابن عمنا الشريف العارف الرباني مولانا عبد الكبير بن محمد الكتاني، متع الله به:

هبوب الصَّبا يا صاح من نحو كاظمة ... أثار غراما طالما كنت كاظمهْ
غرام مدى الأيام يزداد جدة ... ولو ملت قالت ساحرات اللحاظ: مه
قضى بهُيَامي طول دهري ولوعتي ... فمنذ قضى لم تبرح النفس هائمة
وما كان ظني أن في العشق راحة ... ولا أنه تلك الدراية واهمة
فلما ارتوت من مَنْهَل[1] إلى مهجتي ... ولم تبق إلا حول ذلك حائمة
تبين لي أن الخليّ من الهوى ... له الراحة العظمى يقينا مصارمه
وما نال في وقت سرورا وإن غدت ... بحضرته كل المسرات دائمة
فإن شئت إدراك المعالي فلُذْ به ... وعاند عذولًا ولتخالف عزائمه
فما عاش إلا ذو هوى وصبابة ... يبيت الجوى طول الليالي منادمه
ومن قد رأى أن الغرام خطيئة ... فمهجته والله في ذاك آثمة
وليس غرامي واكتئابي بزينب ... وليلى وسعدى والرباب وناعمة
فمن كان بالبيض الكواعب مغرما ... فنفسي عن وصل الكواعب واجمة
فدع عنك ذكر الغانيات فإنما ... أحاديث ذكراهن ليست بسالمة
ولكنما وجدي وفرط صبابتي ... بمن لم تزل في حضرة القرب قائمة
سلالة خير الخلق والبضعة التي ... لها كل أفراد العوالم خادمة
مطهرة الأطراف سيدة النسا ... وينبوع أسرار المكارم فاطمة
فتلك مهاة من يؤمّ رحابها ... ينال من السر اللدني عظائمه
ويحظى بأنوار يفوق ضياؤها ... بدورا لأحلاك الدياجي مصادمة
ويظفر بالكنز الذي لم يفزْ به ... فتى ماهر في ذاك أفنى كرائمه
ويرتع في روض أريض مياهه ... حَلَتْ وعن النوَّار حلَّت كمائمه

---

(1) في الأصل: متهطل، ولا يستقيم الوزن بذلك. مصحح.

فيا سعدَ من قد أمَّ عامًا ربوعَها لقد كشف الرحمن عنه غمائمه
وحل بأعلى حضرة القدس وارتوى من المنهل الأحلى وحط مآثمه[63]
وكيف وبالزهراء حطّ رحاله فحضرتها أحمى ملاذ وعاصمه
فتاة على تقوى من الله أسست مشيد مبانيها وأرست دعائمه
تجافي إذا جن الظلام فراشها وترأب في محرابها الليل قائمة
تناجي إلٰه العرش حتى إذا بدا محيا نسيم الصبح تصبح صائمة
وكم نَصَبَتْ في طاعة كان رفعها إلى الله حقا عن عواملَ جازمة
إلى خشية لله جل جلاله تكمِّلُ شخصا ذاهل القلب نائمه
وكم جمعت من شيمة أحمدية ومجد على مجد أشادت قوائمه
فأكرمْ بها من بضعة نبوية لها في الكمال الرتبةُ المتقادمة
لها المنصب السامي لها الشرف الذي تسامى فلا شخص يداني مراسمه
لها الكرم الهاني لها النسب الذي غدا لبناء الكون أعظم قائمة
لها جَمَعَ الله المحاسن فاستوت على الحسن والإحسان والفضل حاكمة
وما برحت في لحظة ليمينها شِفَاُه صنوف السعد والعز لائمة
فما في سناها المنتهى وسنائها مُدانٍ فأحرى من يضاهي مكارمه
كفاها فخارًا: إرثها سرّ أصلها وذاك له كل الكمالات لازمه
فكانت لهذا الأمر نسخةَ ذاته عليها حلى كل العلى متزاحمة
وما نال سر الذات في الكون غيرها وما نال منه الغير إلا نواسمه
فكانت ملاذ العارفين ذوي النهى وفي عرف أرباب الدوائر خاتمة
وما نورهم إلا أشعة نورها ومن فيضها أسرارُهم متراكمة
لذاك ترى أهل الكمال ببابها وإن شط مأواهم تؤم معالمه
ببذل وإطراق وإظهار فاقة وبسط يد المضطر يسأل راحمه
فيصدر كل منهمُ عن جنابها وقد قرّ عينًا بالذي كان رائمه
ولا ينثني عن بابها أحد بلا نوال فحاشاها تخيِّب ناظمه
وكيف وقد حازت من الفخر ماتقا صرت عن أدانيه الليوث الضراغمة
أسيّدتي الزهرا البتول تعطَّفي على مغرم أملى عليك تراجمه
وبالعفو تقصيري بحقك قابلي و جُودي بإقبال يعيد مواسمه

وكوني له في كل أمر معينة ... ولا سيما للقلب هاتي مراهمه
ولا تسلميه في القيامة والزمي ... شفاعته إن بان ما كان كاتمه[64]
وحوطي بفضل أرضنا وبلادنا ... من السوء والإشراك أعظم قاصمة
وقولي: إلٰه العرش دمر جيوشه ... وخيب مساعيه وعجل هزائمه
فقد بلغ السيل الزبى وتكاثرت ... علينا الأسود الضاريات متاخمة
وليس لنا حول ولا جَلَدٌ به ... نصول على ما ناب من كل داهمة
سوى قرع أبواب الرسول وآله ... بإنشاد أمداح تسامت بفاطمة
فغوثًا أبا الزهراء غوثا ونصرةً ... لمن قطعت أيدي الأعادي قوادمه
فأنت المرجَّى في الشدائد كلها ... لدفع مُلِمَّات وأسواء هاجمة
فها نحن يمَّمْنا جنابك والأسى ... أحاطت بنا منه عساكر راغمة
نؤمل بالزهراء رفع الذي عرى ... وعود ليال حاربتنا مسالمة
فنجني ثمار الأنس من نخلاتها ... ونقطف من ورد المودة باسمه
فجُدْ واعفُ واصفح عن أناسٍ نفوسُهم ... على ما جنوا في سالف الدهر نادمه
فأنت الذي تعفو وتصفح دائما ... عن المذنب العاصي وتمحو جرائمه
عليك صلاة الله ثم سلامه ... وآلك يا من جاء للرسل خاتمة
صلاة وتسليما يعمّ سناهما ... مباديَ من يتلوهما وخواتمه

[65]هـ

4 - إظهار ما بطن من حب الوطن

كان أمل سيدي عبد الرحمن الكتاني الأكبر الهجرة إلى المدينة المنورة بأهله والالتحاق بأخيه الأكبر سيدي محمد، فقال هذه القصيدة في مدحها والتشوق إليها على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وسمّاها: "إظهار ما بطن من حب الوطن":

شوقي لطَيْبَةَ كلّ وقت زائدُ ... ولهيبُهُ في باطني مُتزايِدُ
والقلب يخفق من طويل بِعَادِها ... والنومُ من عيني القريحةِ شاردُ
والجسم مني ناحل لصدودها ... والدّمع من عيني بذلك شاهد
بجمالها يصبو الفؤاد وكلما ... ذُكِرَتْ له فزفيره متصاعد
يا ليت شعري هل تجود بوصلها ... وبها تكون مصادرٌ وموارد

وأجول في أكنافها وربوعها ... وأرى ضريح المصطفى وأشاهد

ويكون لي بين المقام ومنبر ... للمصطفى خير الأنام مساجد؟

تالله ما حاز المفاخرَ كلَّها ... إلا الذي نحو المدينة قاصد

من حلها أو زارها عن نفسه ... أو زارها قد حطها ويباعد

طوبى لمن قد جاءها وثوى بها ... حتى أتاه بها الحِمَامُ الراصد

طوبى له طوبى له طوبى له ... في كل وقت للضريح يشاهد

هذا له حيًّا، وعند مماته ... زُفَّتْ إليه لدى الجنان خرائد

عجبا لذي عقل سليم ماله ... شوق إلى تلك المدينة زائد

تالله لا عقلٌ لديه ولا حِجَا ... لو أنه الحَبْرُ البليغ الناقد

فالصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليها ليس فيه مساعد

تفضيلها قد بان للرائي فلا ... يخفى على من فيه ليس يعاند

ما مثلها بلد ولو أم القرى ... نطقت بذاك دلائل وشواهد

جلت عن الإحصاء من أمثالنا ... أوصافها، أو يدعيه معاند

هيهات لا يدري حقيقة فضلها ... إلا مشرِّفَها الإله الواحد

يكفيك من شوق المدينة أنها ... دار الحبيب له هناك مَشَاهِد

وبها تردد جبرئيل إليه بالقر ... آن وهو له به متعاهد

وبها ثوى معْ صحبه إذ هاجروا ... وبها البقيع وقبر طه شاهد[66]

وبها مضاعَفَةُ الصلاة، فليس من ... صلى بمسجدها يضاهي مساجد

ودعا لساكنها بضِعْفَيْ ما دعا ... اللهَ الخليلُ لمن بمكة وارد

وبها ينال المرء كل فضيلة ... وبها طريق مآثرٍ والتالدُ

وكفى دليلًا قول طٰه: طيبة ... خير لهم، لو يعلم المتباعد

يا ربّ بلغني إليها سالما ... واجعل وفاتي عند ذاك تساعد

واجعل ضريحي بالبقيع ولا تحلْ ... بيني وبين مجيئها[1] يا واحد

فالشوق مني زائد لمزارها ... ليس السُّلوُّ له لدي مقاعد

كيف السلوّ وقد أقام بها الحبيب ... وكل حب للحبيب فرائد[2]

(1) في الأصل: محبيها، ولا يستقيم. مصحح.

(2) الرائد: الطالب.

حاشا لقلبي عن هواها سلوة ... فيه اليمين تشبثت والساعد
وعلى الحقيقة لا المجاز فما أنا ... عن وصلها طول المدى متقاعد
والله ما شوقي لطيبة إنما ... قلبي بمن قد حلها متواجد
من هام في أوصافه كلُّ الورى ... حتى بها هام التقي الزاهد
لا حسن في الأكوان يشبه حسنه ... ما ناله ولد بها أو والد
خير الورى قدرا وأكثرهم ندى ... فعلى علاه لا يخيب الوافد
حاشا يخيب من انتحى ذاك الذي ... من بحره كل البرايا وارد
منه الشفاعة ترتجى في موقف ... والغير يومئذ لذلك فاقد
قد خصه الرحمٰن قبل وجوده ... وحباه فضلا لم ينله ماجد
أسرى به فوق السموات العلى ... بالذات منتبها وما هو راقد
حتى دنا مِن قاب قوسين الذي ... ما حل ساحته سواه واحد
ورأى الإلٰه حقيقةً بعيانه ... ما زاغ منه الطرف حيث يشاهد
حاشا جلالته الكريمة كل ما ... في شأنه أضحى يقول الجاحد
وأراه كلَّ محجَّب عن غيره ... لم يخف عنه طارف أو تالد
وحباه علم الكائنات بأمرها ... حتى الأمور الخمس قال الناقد
فهو الذي حاز المفاخر كلها ... وله الكمال جميعه متناضد
وهو الذي في الحشر يشفع في الورى ... فجميعهم فيه إليه حافد
وعلى الحقيقة فهْو قطب الكون بل ... سرّ الوجود وبدره المتصاعد
لا شخصَ يدرك مجده أو فضله ... لو دام طول الدهر فيه يكابد[67]
وإذا بليغُ النظم في أمداحه ... تعبيره عن ذاك ليس يساعد
ماذا أقول وإنَّ باعيَ قاصر ... والفكر عن تلك المقاصد سامد
لكن قصدي بالمديح تعلقٌ ... بجنابه كي لي تُنال فرائد
يا ربِّ هب لي منه عطفًا ماله ... حد به ذاك الجمال أشاهد
واجمع عليك قلوبنا وتولّنا ... ولتعطنا ما لا يراه الحاسد
وارزق لنا فيك الفناء عن الفنا ... حتى يكون لنا البقا المتعاضد
وتقًى وإخلاصًا ومعرفة بها ... تنمو لديَّ عوائد وفوائد
وافتح علينا منك فتحًا باهرا ... لم يدره في الدهر طرا عابد

واشرح إلى الطاعات صدري واملأن قلبي بحبك ليس فيه زائد
مع رؤية المختار في سَهَرٍ وفي نوم وعنّي قط ليس يباعد
صلّى عليه الله معْ أصحابه والآل ما شمسٌ بدت وعطارد

[68]هـ

الفصل الخامس في والده وبعض أقربائه

سلام على الوالد.

قصيدة في مدح الوالد.

تقريظٌ أول لكتاب "إعلام أئمة الأعلام".

تقريظٌ ثانٍ لكتاب "إعلام أئمة الأعلام".

تاريخ أول لوفاة والده.

تاريخ ثانٍ لوفاة والده.

رثاء والده.

عتاب لابن الأخ.

سنده عن سيدي عبد الكبير بن محمد الكتاني.

مدح ابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني.

دعوة لابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني.

تهنئة بالعودة من الحج لابن عمه سيدي عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.

رسالة شعرية إلى الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.

مواساة [69].



1 - سلام على الوالد

كان سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني يحب والده حبا جما. وكان والده يبادله تلك العاطفة، وكانت العلاقة بين الابن والأب علاقة تلميذ وأستاذ وصديق وإعجاب متبادل: فكتب مرة سيدي عبد الرحمن لوالده مسلّما:

يـا والـدي؛ أُهـدي الـسـلام مُـعَـطَّـرا مِـن ذاك حُـسْـنٌ فـي الـخـيـال مـصـوَّرا
هـذا خـيـالـي قـد سـرى لـرحـابـكـم يـا لـيـت شـعـري لـو تـبـادلـنـا الـسـرى

[70]هـ

2 - قصيدة في مدح والده

وقال سيدي عبد الرحمن مادحًا والده سيدي جعفر في حياته وداعيا له بطول البقاء في الصحة والعافية. إذ قال: وقلت مادحا مولانا الوالد أطال الله بقاءه في العافية آمين:

بـاعـتـرافـي بـقـصـوريَ عـن مـدى مـدحِـكُـم؛ مـدحـي عُـلاكـمْ قـد بـدا
مـا تـأتَّـى لامـرئ فـي مـدحـه حـصـر أوصـاف سـنـاكـم أبـدا
بـل قـصـارى أمـره مـادحـكـم كـلـمـا طـلـعـتُـمُ قـد شَـهـدا
قـال لا أسـطـيـع مـدحـا لامـرئ بـأبـيـه جـبـرئـيـل سـعـدا
مـن يـرم حـصـر عـلاكـم فـلـقـد حـاز جـهـلا مـا لـه قـطّ مـدى
لـيـس يـدري أحـد شـأوكـمُ ومـزايـاكـمْ سـوى مـن أوجـدا
غـيـر أنـي ذاكـر مـنـهـا الـذي بـلـغ الـتـعـبـيـر عـنـه الـمـقـصـدا
لـيـس تـرك الـجُـلّ مـمـا لـم يـطـق أحـد إدراك كُـلٍّ رَشَـدا
يـا إمـام الـعـصـر يـا سـيـدنـا جـعـفـر الـحـبـرُ الـهـمـام الـمـفـردا
نـجـل فـرع الـشـرفـا إدريـس مـن سـاد بـالـعـلـم وبـالـفـضـل ارتـدى
الـشـريـف الـحـسـنـيُّ الـمـرتـضـى دوحـة الـمـجـد ويـنـبـوع الـنـدا
حـزت مـن بـيـن الـبـرايـا رتـبـة لـم يـنـل غـيـرك مـنـهـا الابـتـدا
خـصّـك الـلـه بـهـا دون الـورى جـل مـن أولاكـهـا مـنـفـردا

أنت قطب العصر من أَمَّكُمُ ... نال ما يقصده بل أزيدا

كيف لا يُدْرِكُ ما يرجوه مَن ... فضلكم شخص لكم مدّ اليدا؟

وبكم أشرقت الأنوار في ... غربنا، لولاك كنا في ردى

فاز من صاحبكم لو لحظة ... في كلا الدارين حاز السؤددا

يا إمام الأوليا يا سندي ... يا ملاذي كلما خفت الردى

يا شريف العلما يا من به ... يدرك المرء الذي قد قصدا

يا كبير القدر يا من مجده ... جاوز الشمس علوا ومدى

بالنبيِّ المصطفى[1] خير الورى ... وبنيه[1] الأتقياء السعدا

وجميع الصحب والآل ومن ... بهداكم قد تحلى واهتدى[71]

جد بوصل منك يشفي غلتي ... عن قريب وأنلني المقصدا

ليس لي عن بابكم من رجعة ... فلتجُد بالقصد يا عين الهدى

لم يخب شخص أتى بابكمُ ... وإلى علياكمُ مد اليدا

حاشى لله وإفضالكم ... ماله حصر لدى من شهدا

هذه شنشنة قد نلتها ... من جدود بلغوا فيها المدا

ورثوها كابرا عن كابر ... عن إمام الرسل طرا أحمدا[2]

صلّ يا رب عليه دائما ... دون حصر ثم سلم أبدا

وعلى آل وصحب كلما ... منشد قال إذا ما أنشدا

باعترافي بقصوري عن مدى ... مدحكم مدحي علاكم قد بدا

هـ[72]

3 – تقريظ أول لكتاب "إعلام أئمة الأعلام"

كان سيدي عبد الرحمن في السنوات الأخيرة من حياة والده يساعده في كتاباته وتدريسه. وهو الذي جمع لوالده سيدي جعفر بن إدريس الكتاني فهرسته

---

(1) في الأصل: وبقية، والأصوب ما أثبتناه. مصحح.

(2) في الأصل: المختار، وغيرناه للمصطفى لضرورة الوزن. مصحح.

(3) في الأصل: محمدا. مصحح.

المسماة "إعلام أئمة الأعلام وأساتيذها بما لنا من المرويات وأسانيدها". وقد انتهت كتابةُ هذا المؤلَّف في ذي الحجة الحرام عام 1322هـ فنظم سيدي عبد الرحمن هذا التقريظ في أول صفحة من الكتاب:

فهرسٌ جامعٌ جليلٌ جميلُ ... كامنٌ كاملُ الكمالاتِ فيهْ
قد حوى لُب ما حوته الفهاريس ... فذو اللب دائما يقتفيه
صحَّ عالي إسناده فاروه عن ... شيخنا إذنا أو قراة فيه
حفظ الله مجده وعلاه ... وحماه عن طعن كل سفيه
وحبا سيدا به قد حبانا ... كل ما يبتغيه أو يشتهيه
ذاك شيخ الجماعة الكامل الأو ... صاف إرثا عن جده وأبيه
مفرَد العصر في جميع المزايا ... جامع الفضل ماله من شبيه
سيدي جعفر بن إدريس نجل الطا ... ئع الكتاني خير نبيه
حفه الله كل وقت بحفظِ ... شاملٍ أهلَه وكل ذويه
وأطال الإلٰه فضلا بقاه ... وحبانا به الذي نبتغيه
وصلاة مع السلام على من ... نال من ربه الذي يرتجبه
وعلى الآل والصحابة طرا ... وعلى تابع ومن ينتحيه

[73]هـ

4 - تقريظٌ ثانٍ لكتاب "إعلام أئمة الأعلام"

وعند الانتهاء من كتابة المؤلف المذكور ذيله سيدي عبد الرحمن بما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، يقول العبد الفقير الجاني عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، كان الله له، وبلغه في الدارين من كل خير أمله: حمدا لمن رفع بصحيح السند، مقام من توكّل عليه في أموره وإليه استند، وعم بأياديه المتصلة المتواترة، ومواهبه المسلسلة المتكاثرة، من سلك في أفعاله المنهج الحسن ومن لا، ومن ضعف فيه يقينه ومن قوي منا وفضلا، وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا محمد القائل: "ليبلّغ الشاهد الغائب"، وعلى آله وأصحابه ليوث الكتائب، ما اختلف مفترق واتفق مختلف، وحن الغريب شوقا إلى ما أَلِف".

"أما بعد؛ فقد هب نسيم التمام، وفاح مسك الختام، من طبع هذا الثبت الحفيل، ذي المنهل العذب الرائق السلسبيل، لخاتمة العلماء الأعلام، وشيخ مشايخ الإسلام، وقدوة الأنام، وملجأ الخاص والعام، المتمسك بحبل التقوى، الخالي من الدعوى، طود العلم الراسي، الذي ليس له في زمانه ثانٍ، أبي محمد، مولانا جعفر بن مولانا إدريس الكتاني، أبد الله رفعته، وأيد بتوفيقه فكرته، وذلك بمطبعة المعلم الباذل جهده في الحسن والرونق، السيد العربي الأزرق، بمحروسة فاس، حفظها الله وأهله من كل باس وفاس، وبتصحيح مؤلفه المذكور، لازال محفوظا بالحفظ ما تعاقبت الأعوام والشهور، في ظل السلطان الأعظم، والهمام الأفخم، سلسلة الذهب الإبريز، سيدنا ومولانا عبد العزيز، حفظه الله ووقاه، ووفقه لما فيه رضاه".

"وكان انتهاؤه في ذي الحجة الحرام عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، من هجرة من خُلق على أحسن حال وأكمل وصف، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، في البدء والختام. ولما كمل طبعه، وفاق وضعه، أرخته بهذه الأبيات من بحر الرمل، وإن كنت لا ناقة لي في هذا المَرْبَع ولا جمل، فقلت، وعلى الله توكلت:

نـزِّه الطـرْفَ بـذا الروض الحسنْ   واطرد النوم ودع عنك الوَسَنْ
وعلى باب حِماه فأقم   وإليه منك فَلْتُلْقِ الرسَن
وانتخب في مدحه ما شئت من   أبلغ الأنظام والنثر الحسن[74]
يا له من مُفْرَدٍ في بابه   كَلَّ عن وصف علاه ذو اللسَّنْ
مُفْرَدٍ مِن مُفرد في عصره   جامع إن لم يكن ذاك فمن؟!
لو رآه المسند الشيخ أبو   سالم[1] هام بما فيه كمن
أو رآه ابن أبي جيدة[1] ما   قال إلا: حبه قلبي سكن
حفظ الله إمامًا أشرقت   شمسه في الأفق في هذا الزمن
قد حبانا منه فضلا ثَبَتا   كل حسن فيه يا صاح استكن
مذ تناهى طبعه قال جهارًا: لنا تاريخه الثبت الحسن

---

(1) هو أبو سالم العياشي صاحب الفهرسة المشهورة.

(2) هو عبد القادر بن أبي جيدة الكوهن صاحب الفهرسة المشهورة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الكائنات، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم من المؤمنين والمؤمنات، في البدايات والنهايات".[75]

5 - تاريخ أول لوفاة والده

توفي والد الشاعر رحمهما الله بعد العشاء بساعة ليلة السبت 22 شعبان عام 1323هـ ببيته بفاس. فقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مؤرخا:

مُذ قضى نَخْبَةُ إمامُ المعالي قُطبُ أهل الكمال في كل مظهر
قيل: أرخ. قلت: أرختُ: حي في جنان الخلود مولاي جعفر

هـ [76]

6 - تاريخ ثاني لوفاة والده

وقال سيدي عبد الرحمن أيضا مؤرخا وفاة والده سيدي جعفر الكتاني:

مُذْ أَمَّ مولاي جعفرُ داعيهْ إلى جِنان قُطوفُها دانية
أرَّختُ إذ ذاك قائلا: إنما مثواه حقا بجنة عالية

هـ[77]

7 - رثاء والده

لقد تأسف جدًّا سيدي عبد الرحمن لوفاة والده الذي كانت تربطه به روابط الروح والعلم والمحبة والإعجاب، فنظم هذه المرثية التي قرأها على قبره رحمهما الله، وذلك في سنة 1323هـ:

عينيَّ جودا لي بدمعٍ هاطلِ أسفًا على هذا المُصابِ الهائلِ
فلمثله تبكي العيون دموعها حتى تشاب بعندم مترامل
إن لم تجودا بالدموع لذا المصا ب المفظع الصعب الشديد النازل
فدعا البكاء مدى الزمان لحادث فنظيرُ هذا الخطْب ليس بحاصل
هذا مصابٌ دونه كل المصا ئب عند ذي النظر السديد الفاصل
تتفطر الأكباد منه تأسفا وترى الرواسي منه أَمْيَلَ مائِلِ

لو نال بدر الأفق عند تمامه ... لرأيته في الحين أسرع آفل
أو نال شهْب الجو في عليائها ... لرأيتها تنقضّ مثل الوابل
أو كان في صخر لفُتِّتَ عاجلا ... أو بالفرات لما حلا للناهل
آه لقلبي من جواه وما الذي ... تُغنيه آه عن فؤاد واجل
قد مزقت أيدي الحوادث والنوى ... أجزاءه تمزيق ليث صائل
لا سيما لا سيما لا سيما ... موت الإمام المفرد المتكامل
مولاي جعفر بن إدريس الشريف ... الأوحد العَلَم الهمام العامل
علامة الأعلام ذي الشرف الأتم ... الكامل ابن الكامل ابن الكامل
شيخ المشايخ قطب أرباب النهى ... والفاضل بن الفاضل بن الفاضل
مولي الفوائد مرشد الحيران في ... أحلاك ليل الجهل منبي السائل
بحر طما علما، وغيث قد هما ... جودا، وبدر قد سما بمنازل
بالعلم والتقوى سما أقرانه ... وبلين جانبه وطرح العاجل
حاز المفاخر والفضائل وارتدى ... ثوب التواضع، فهْو أحسن رافل
كملت محاسنه الشريفة كلها ... إذ كان للرحمٰن أكبر واصل
يخشى الإلٰه ولا يخالف أمره ... وعن الهوى المُرْدِيِّ أعظم زائل
قد كان للإسلام أعظم ناصر ... وعن الشريعة كان خير مناضل[78]
يحمي حماها أن يحل به ابتدا ... ع أو يدنس بالهوى والباطل
إذ كان في علم الشرائع آية ... يمحو سناه دجى الظلام الماحل
لا يختشي أحدا تعاظم قدره ... في الحق أو يصغي لعذل العاذل
متحقق بالزهد والورع الأتم ... وغير ذا من كل وصف كامل
وله يد بيضاء في عرفان مو ... لانا، لها المرتاب ليس بنائل
من رام تعدادا لحصر صفاته ... نادته: دع فلأنت أعظم واهل
أو رام دركا لابتداء مقامه ... ناداه: خل فلا تؤوب بطائل
هيهات ليس ببالغٍ شأوًا له ... شخص لعلياه أشد مطاول
سبحان من أولاه ما أولاه من ... أسنى الخصال الباهرات العاقل
ما هو إلا من بقايا السادة السلف ... الكرام ذوي الصلاح الماثل
قد كان مدخرا لهذا العصر كي ... يجلي بطلعته ظلام الجاهل

فحبا الإله عباده بوجوده فيهم فكان لهم أجل مواصل
ثم اصطفاه لحضرة القدس التي جلت وحُب بالاصطفا من ناقل
يا ليت شعري من يُبَيِّنُ بعده للناس مشكل معضلات مسائل
من ذا ينيل السائلين مرادهم ويزيل أصداء الفؤاد الذاهل
مَن ذا يقرر شرح سنة أحمد بفصاحة تنسيك أفصح وائل
مَن ذا يهذب فقه مذهب مالك ويديمُ حمل لواه فوق الكاهل
مَن ذا نُراجعُ في مدارك ديننا عن ذاك جيد العصر أعطل عاطل؟
لو كان يفدى بالنفوس بذلت نفسي والبنين وأسرتي وحلائلي
لكنْ قضى الجبارُ جَلَّ بأن كل الخلق يلحقه الفناء بعاجل
سبحانه ما للذي يقضي به متعقّب يأتي له بمعاضِل
فالله يوليه من الرضوان والغفران والرحمات أفضل نائل
وينيله من وجهه النظر الذي هو منتهى طلب الذكي الآمل
ويديم سر علاه في أولاده ويعمهم بنواله المتواصل
وينيلهم عرفانه ورضاءه ويخصّهم بكماله المتطاول
بالمصطفى المختار خيرة خلقه شمسِ الهدى محيي فؤاد الغافل
صلى وسلم ذو الجلال عليه مع أصحابه والآل كهفِ الوابل
ما قال ذو وجد وحزن منشدا: عينيَّ جودا لي بدمع هاطل

هـ[79]

8 - عتاب لابن الأخ

كانت لسيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مراسلات مع ابن أخيه جدنا العلامة سيدي محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني عندما كان مقيما مع والده في المدينة المنورة. فتأخر عليه مرة بالجواب، ثم وصل الكتاب بعد طول غيبة. فأجابه سيدي عبد الرحمن بتاريخ 20 شوال عام 1331 برسالة رقيقة وقعها بمحبكم عبد الرحمن لطف الله به آمين. وافتتحها بالأبيات التالية:

أتاني جوابُ المحِبِّ الأحبْ يبشّر قلبي بما قد أحب
فَقَرَّت عيوني به إذ بدا ونلتُ كمال المنى والأرب

وخـامـرنـي سُـكْـرُ ألـفـاظـه ومـعـنـى بـه رائـقٌ مـنـتـخَـب
فـأحـببْ بـه واردًا قـد أتـى يـبـيّـن عـذر مـحـبّ عـتـب
فـلـو كـان مـنـي مـا كـان مـا أتـيـت بـبـعـض الـذي قـد وجـب
وعـذرا لـعُـتْـبِ مـحـب فـمـا يـعـاتـب ذو الـحـب إلا الـمـحـب
ومـن لام فـي نـصـحـه عـمَّـه فـمـا قـد حـذا حـذو أهـل الأدب
ولـو كـنـت قـابـلـتـه بـالـرضـى لـفـقـت أهـالـي الـنـهـى والـحـسـب
ولـكـن عـفـا الـلـه عـمـا مـضـى وتـاب عـلـى الـكـل فـيـمـا ارتـكـب

[80] هـ

9 - سنده عن سيدي عبد الكبير الكتاني

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في نظم سنده إلى "الصحيح الجامع" للبخاري، الإمام الشهير، عن سيدي عبد الكبير بن محمد الكتاني، ونصه:

رويـت جـامـع الـبـخـاري الـشـهـيـر عـن الـهـمـام سـيـدي عـبـد الـكـبـيـر
عن شيخه سيدي عبد الغني عن عابد عـن صـالـح الـشـهـيـر الـمـاجـد
عـن ابـن سـنَّـةٍ عـن الـعَـجِـلِ عـنْ شـيـخـه قـطـب الـديـن فـافـهـم واعـلـمـن
عـن شـيـخـه أبـي الـفـتـوح أحـمـد عـن يـوسـف الـهـروي عـن مـحـمـد
عـن شـيـخـه يـحـيـى عـن الـفِـرَبْـرِي عـن الـبـخـاريِّ عـظـيـم الـقـدر

[81] هـ

10 - مدح في ابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني

كانت تربط سيدي عبد الرحمن بابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني روابط العائلة والتقدير الكبير لعلمه وورعه وجهاده. فكتب له مرة مشيدا:

أتـيـت حـمـاك ابـن عـبـد الـكـبـيـر لـعـلـك تـجـبـر قـلـبـي الـكـسـيـر
وتـمـنـحـنـي عـطـفـة أرتـقـي بـهـا مـرتـقـى كـل فـرد كـبـيـر
ويـبـعـد عـن خـاطـري مـا بـه ويـسـهـل [بـكـم] كـلّ أمـر عـسـيـر
فـجـد بـالـمـراد وعـجـل بـه فـمـثـلـك هـذا عـلـيـه يـسـيـر

وقد طال ما ماطَلْتَني به جلالتكم يا ابن عبد الكبير
وما قلّ يكفي ولكنما قليلك قل لديه الكثير
ومني عليك سلام وما يفوق عبيره كل عبير

[82]هـ

11 - دعوة لابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني هذين البيتين محرضا الناس على اتباع ابن عمه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني:

قل للذي إصلاح باطنه يريد في وقت قريب يسير
إن شئتَ أن تُدْرِكَ ما ترتجي لُذْ بمحمد بن عبد الكبير

[83]هـ

12 - تهنئة بالعودة من الحج لابن عمه سيدي عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني

ذهب إلى الحج الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني سنة 1321هـ، فذهب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني عند أخيه الشيخ سيدي عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ليهنئه برجوع شقيقه قبل ذهابه لملاقاته عند قدومه من الحج والزيارة، فلم يجده فترك له هذه الرسالة الشعرية اللطيفة:

أُهدي إلى المولى الخليقة من كل تسليم لطيفه
أن حاز من كل الكما لات التليدة والطريفة
مولاي عبد الحي من عنه انجلت حجب كثيفة
هذا وإني جئتكم لوداع حضرتك الشريفة
فوجدتكم قد سرتمُ ونأت جلالتك المنيفة
فرجعت مكتئبًا لما قد فات من تلك الوظيفة
فالله يجمعنا بكم في حالة حسْنَا ظريفه
والله يحفظكم متى كنتم بصحر أو سفيفة

واقــر الــســلام عــلــى الأخ الأ ســمــي ومــن أضــحــى ألــيــفــة
واطــلــب لــنــا مــنــه دعــا ء فــي تــضــرعــه وخــيــفــة
وكــذا عــلــى مــولاي عــبــد الــلــه ذي الــشــيــم الــلــطــيــفــة
ولــقــد تــزايــد عــنــده بــنــت كــجــوهــرة نــظــيــفــة
واكــتــب لــنــا مــا قــد طــلــبــنــا مــن ســيــادتــك الــظــريــفــة
وعــلــيــه خــيــر تــحــيــة تــغــشــى مــجــالــسك الــوريــفــة
مــن عــابــد الــرحــمــن قــوّى الــلــه فــكــرتــه الــضــعــيــفــة

[84]هـ

13 - رسالة شعرية للشيخ عبد الحي الكتاني

مـن عـابـد الـرحـمٰـن نـجـل الـشـيـخ جـعـفـر الـشـهـيـر عـلاه الـكـتـانـي
كـــان الإلٰـــه لـــه وحـــلّـــى ســـرّه بـــمـــعـــارف كـــالـــوابـــل الـــهـــتّـــان
ينهي إلى الخلّ الجليل المرتضى بـل أشـرف الأصـحـاب والـخـلان
مـن لـيـس تـمـضـي لـحـظـةٌ إلا جـرت أوصـافـه فـي خـاطـري ولـسـانـي
الـعـالـم الـعـلامـة الـشـهـم الـذي شـهـدت لـه الأقـلام بـالإتـقـان
راوي الـمـكـارم كـابـرا عـن كـابـر عـن جـده الـمـخـتـار مـن عـدنـان
مـن خـصّـه مـولاه بـالإجـلال والإ عـزاز مـنـه سـائـر الـبـلـدان
مولاي عبد الحي نجل الشيخ ذي الأ نـوار والأسـرار والـعـرفـان
عـلـم الـسـيـادة والـولايـة سـيـدي عـبـد الـكـبـيـر الأحـمـدي الـكـتـانـي
خـيـر[1] الـسـلام لـدى الأمـاكـن كـلـهـا يـغـشـاه فـي روح وفـي ريـحـان
هـذا وإن تـك سـائـلا عـن حـالـنـا فـاسـمـع لـمـا أمـلـي مـن الإعـلان
نِـعَـمُ الإلٰـه عـلـى الـجـمـيـع مُـفَـاضَـةٌ تـغـشـاه فـي سـرّ وفـي إعـلان
لا شـيء مـمـا قـد يـشـوش بـالـكـم عـنـد الـجـمـيـع فـكـن بـذلـك هـان
لـكـنـه تـاقـت إلـيـك نـفـوسـنـا واشـتـاق حـسـنـك نـاظـري وجَـنـانـي
وحـمـلـت مـن ألـم الـفـراق وبُـعْـدكُـمْ مـا لا يـقـوم بـبـعـضـه الـثـقـلان

---

(1) نائب فاعل ينعى في البيت الثالث.

جمع الإله شتاتنا بكم على | عجلٍ بلا مهلٍ بذي الأزمان
بالمصطفى وبآله وبصحبه | والتابعين لهم مع الإحسان
وعليك خير تحية من سائر الأ | صحاب والخلان والإخوان
لا سيما مولاي عبد الله نجل | محمد بن محمد الكتاني
ولقد تزوج ثانية بنِّيسة | بنت الفقير لربه عثمان
وبنى بها يوم الخميس بدار أخته | تاسع العشرين من شعبان[85]
فالله يُثْمِرُ غرسه وينيله | من فضله من غير ما حسبان
وعلى المحبة طالبا منكم دعا | ء صالحا فضلا لدى الإمكان
في عام ألف والثلاث مئين معْ | عشرين معْ أَحد لدى رمضان
في ثالث من بعد عشر منه قد | وافاك ذا من عابد الرحمٰن

هـ[86]

14 - مواساة

ذكرنا في المقدمة تأثير محنة الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني واستشهاده يوم الثلاثاء 13 ربيع الثاني عام 1327هـ على جميع أفراد العائلة الكتانية، ومالحق ذلك من تقوُّل الحاسدين والحاقدين. فكتب سيدي عبد الرحمن هذه الأبيات مواسيا عائلته:

تقول الأعادي حين حلّ بسادة | مصابٌ عظيم حيّر العقل وصفه
أما عندكم من خارق وكرامة | ينجّيكُمُ مما تعسر كشفه
فقلنا لهم: ما للإله مشاركٌ | يعارضه في أمره أو يكفه
إذا جرت الأقدار حتما بمحنة | على عبده من خاله عنه صرفه؟
وما محن الأخيار تنقص قدرهم | ولولا احتراق العود ما فاح عَرْفُهُ
على أنها في طيِّها نعمٌ بدت | لمن كان توفيق الإلٰه يحفه
فيشهدها فعل الإلٰه وصنعه | فتحلو له، لو كان في ذاك حتفه
ولا يبتلي إلا الذي قد أحبه | وعما قريب سوف يحضر لطفه

هـ[87]



الفصل السادس

في أخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني

1 - رسالة شعرية.

2 - تشطير قصيدة ابن المحب.

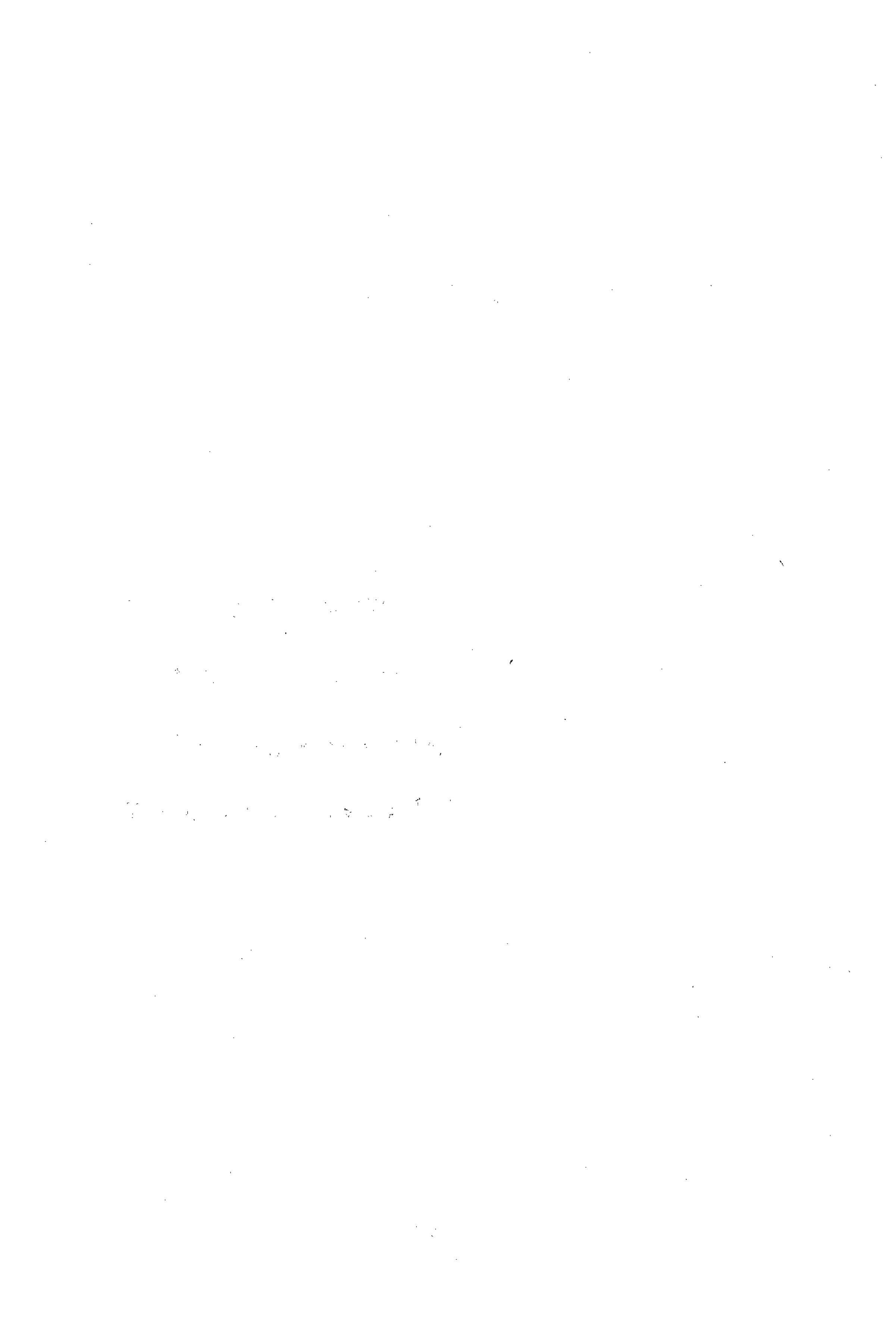
3 - إجازة نظمية.

4 - فلازلت محروس الجناب.

5 - ما لي على هجر الأحبة من جلَد.

6 - أتيت حمى محمد بن جعفر.

7 - تقريظ كتاب "النصيحة"[88].



1 - رسالة شعرية لأخيه

كانت تربط سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني بأخيه الأكبر سيدي محمد روابط قوية من المحبة. وكان سيدي محمد يكبر سيدي عبد الرحمن بـ 24 سنة وكان هو شيخه في معظم ما درس لدرجة أنه كان يعتبره والده بعد والده. وقد ذهب سيدي محمد بن جعفر الكتاني في أول حجة له سنة 1321 هـ مع ابنه سيدي محمد الزمزمي وبقي سيدي عبد الرحمن في فاس مسؤولًا عن أهله تحت إشراف والدهما سيدي جعفر. وقد كانت في هذه الرحلة بينهما مراسلات منها هذه الرسالة الشعرية الرائعة:

أزكى السلام وأنماه وأطيبه ... ينهى إلى سيد جلّت مناقبه
العالم العارفِ البحر الهمام ومن ... أربت على كل ذي فضل مناصبه
من لا نظير له في العصر يوجد، بل ... قد خصّه بجميع الفضل واهبه
سلالة المصطفى وعالم الشرفا ... من غيره في علاه لا يقاربه
جلت جلالته عن أن يدانيَه ... شخص له كسنام المجد غاربه
شيخي محمد نجل الشيخ جعفر من ... فاقت بأمداحه الحسنى مذاهبه
عن مدحه قَصُرَتْ كل الورى حينما ... طارت على كل موجود مواهبُهُ
هذا وأشواقنا إليك زائدة ... في كل وقت وِصالكُمْ تراقبه
كم ليلة زارني طيف الخيال وما ... شفى فؤاديَ بل زادت مراغبه
أبيت معْ طول ليلي مِن فِراقكمُ ... سهران شوقًا تناجيني كواكبه
ومنية النفس وصلًا ليس يعقبه ... إلا اتصالٌ بلا فصل يعاقبه
نرجو الإلٰه كما قضى بفُرقتنا ... يقضي لنا بوصال منه طالبه
وإن سألت عن الأحوال يا أملي ... فكل فرد بخير لا يجانبه
لكنَّ أفراحَنا ليست بكاملة ... لفقد نورِ لمرآكمْ نراقبه
هذا ويقرئك السلام سيدنا ... شيخ الوجود أبو الإحسان جالبه
إمامنا الوالد الأجل من خضعت ... له الأماجد طرا لا تغالبه
كذاك إخوتنا والعم سيدنا ... مولاي أحمد من تزكو عواقبه
وسيدي أحمد بن الشمس صاحبنا ... خليفة الشيخ ما العينين نائبه[89]
واقرا السلام لمن قد حل حضرتكم ... طرًا سلامًا وفاق ما يناسبه

لا سيما قرة العينين سيدنا محمد الزمزمي المحفوظ جانبه
وخلنا العالم النحرير سيدنا محمد العَلَمِيْ جلّت مطالبه
والسيد الشيخ ذو الأفضال سيدنا محمد بن الكبير أو[1] أقاربه
وشيخنا شيخ هذا العصر حافظه ومن برحلته ازدهت مغاربه
أعني أبا الحسن بن ظاهر المدني بحرٌ لمن أمه وافت مآربه
لازال حِفْظُ إله العرش يكلؤه بالنصر والفوز مدحوضا مغالبه
وإن رفعت إلى المولى الأكف فهب لي من دعائك، إذ يجاب غائبه
وقل: إلاهيَ طهّر من سواك فؤا ده ويوم النشور لا تحاسبه
واجعل جميع فعاله مسدَّدَةً حتى تغيب عن الرائي معايبه
وهب له كل وقت فيك معرفة واسلك به كل ما ترضى مذاهبه
والله يحفظنا فيكم ويحرسكم بكل وقت فتخطاكم مصائبه
بالمصطفى المجتبى خير الأنام كذا ذووه قاطبة كذا مصاحبه
صلى عليه مع السلام خالقه كذا عليهم دوام من تجاوبه

[99]هـ

2 - تشطير قصية ابن المحب

سافر سيدي محمد بن جعفر الكتاني مهاجرا بأهله إلى المدينة المنورة عندما ترددت الأوضاع في المغرب. غير أنه بعد ما نجحت الثورة الحفيظية وكان المغاربة يرون فيها جهادا لإيقاف الزحف الفرنسي على المغرب رجع سيدي محمد بن جعفر الكتاني إلى مسقط رأسه فاس التي دخلها في يوم 20 رمضان عام 1326هـ، فاستقبله الشعراء بالقصائد المرحبة، وكانت من أجمل هذه القصائد: قصيدة الشاعر الكاتب الشريف سيدي عبد السلام بن المحب العلوي. فأعجب بها سيدي عبد الرحمن وشطرها على النحو التالي:

مضتْ وَحْشةُ التفريقِ واجتمعَ الأُنْسُ وأعلنَ باستبْشاره الجنّ والإنسُ

---

(1) أو هنا بمعنى الواو.

وأشرق في أفق المغارب بدره ... وأقبلت النعماء واستدبر البوس
وعاد رياض العلم والفضل والتقى ... إلى حاله من بعد أن عمه البيس
فأصبح يزهو بعد ما كان ذاويا ... نضيرا به زهر المآثر والغرس
وعاد من الشرق السعيد ابن جعفر ... مجلى بأنوار جلاها لنا الحس
هو الشمس في أفق العلوم حقيقة ... ولا بِدْعَ قد عادت لمغربها الشمس
ففي كل درس للمعارف موسم ... وفي كل طرس من مفاخره دَرْسُ
وفي كل ضرب قد تكامل فضله ... وفي كل درب للمعالي به عرس
فبشرى لنا بشرى لنا بقدوم من ... بطلعته الغراء يرتفع النحس
وأعظِمْ به من أوحد باهر غدا ... لعالي بناء العلم والعمل الأس
إمامٌ جليل تعرف العُرْبُ فضله ... وما نالها في فضله أبدا لَبْسُ
ويعرفه شرق البلاد وغربها ... وتعرفه الأعجام والهند والفرس
أتى من رسول الله يزجي مواهبا ... فمَن أمَّهُ لا يعتري سعده نحس
فأكرِمْ بها من منحة نبوية ... لها ثمن لا يعتري قدره البخس
إمام إذا تبدو البلاغة والنهى ... عليه ترى ما ضاق من شرحه الطرس
وإن قام في يوم خطيبًا بمنبر ... لديه فلا سحْبَان يبدو ولا قيسُ
إذا ما احتبى في مجلس الدرس خِلْتَهُ ... عُبابًا من الدر النفيس به كدس
فحين تَسَلْهُ عن عويصٍ تخالُه ... طبيبًا للنبض في المعضل الجس[91]
عبارته مثل الصَّبا، فهبوبها ... على سامع في الحين صار له الندس[1]
بلى إنها تزري به فهبوبها ... تلفح أغصانَ الفهوم به الملس
كأن النجوم الزهر ألفاظه التي ... بها يهتدي من كان منه له يأس
نعم إنما ألفاظه التمني في الضحى ... تضيء اهتداء والسماء لها طرس
فيشفي عليل الجهل بعد سقامه ... فيصبح في أرض العلوم له ميس
ويرشده نحو الصواب بهمة ... فيسلم منه الذوق في العلم واللمس
لقد غلب النفس النفيسة عقله ... فصيرها مرؤوسة وهُو الرأس
ودلت لمولاها على حكم سرّه ... وكم غلبت من دونه عقلَه النفس

(1) الندس: الفهم.

تقي نقي زاهد متورع جليل جميل لا يعادله قيس
له في حدود الله نهضةُ صادق يجل به التخمين في الدين والحدس
إليه مددت الكف أرجو إجازة وتلقينَ أذكار بها يحصل الرس
فما مثلها من منحة وعطية بها يتسنى الأخذ للعلم والدرس
إجازته لي تلك جائزة له إذا نلتُها قد نالني العز والقدس
وصرت يقينا موسرًا من نوالها فلا درهم وازى غناها ولا فلس
تعم بإذن منه غير مقيد كما عمّ أهل الأرض من جوده الرغس[1]
عموما صريحا واضحا لا خفا به تساوى بإطلاق به الجهر والهمس
وذلك فيما عنده من فهارس أجيز بها من حبر له لوس[2]
ومن طرق السادات طرا بأسرها وتصنيف منه قد نما النوع والجنس
فحاشى لديه أن يقابل سائلا بغير الذي يهوى وإن عظم الهجس[3]
فما كان في حال مجيبًا لسائل بنهر ورد؛ شأنه الطرد والعكس
فدام لأهل العلم والدين عصمة يدافع عنهم كلما عظم البأس
وأبقاه محفوظ الجناب على المدا به تحفظ السبع المثاني كذا الخمس
بجاه رسول الله أحمد من به تلألأت الأنوار وارتفع الرجس
وعم الورى أفضاله فببعثه عن الناس زال الشك والريب واللبس
عليه صلاة الله ثم سلامه صلاة وتسليمًا به يحصل الأنس
وأشهد في حالَيْ منامي ويقظتي رسولا به لطيبة غَبِطَ القدس
وآل وأصحاب كرام أماجد ودادهمُ فرض على من له حس[92]
بهم أرتجي حسن الختام فقد غدا لنا حبهم من كل ما يختشى ترس

[93]هـ

العبيد الفقير المتطفل على الأعتاب، الواقف بالباب، عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، أصلح الله بمنه حاله، وفك أوحاله.

(1) الرغس: الخير والنماء.
(2) اللوس: الذوق.
(3) الهجس: ما وقع في الخلد.

3 - إجازة نظمية

كان سيدي محمد بن جعفر الكتاني شيخ أخيه سيدي عبد الرحمن ومربيه وقد أجازه بإجازة نظمية كتبها سيدي عبد الرحمن لنفسه باسم أخيه وشيخه سيدي محمد:

أيا مَن بحاليْ نظمه يحصلُ الأُنْسُ ... ويطرب من إنشاده الجنّ والإنسُ
ملكتَ أساليبَ الكلام فشُيِّدَتْ ... لديك مبانيه كما أُحكم الأس
فأنظامك الغراء راق كمالها ... ونثرك أبهى ما يجلَّى به الطرس
وقد جاءني منكم نظام كأنه ... عقود جمان ليس في حسنه لبس
تروم من العبد الضعيف إجازة ... بها يتسنى الأخذ للعلم والدرس
بكل الذي أسندتُهُ عن مشايخ ... كرام إذا عدَّدْتُهُم لهمُ طيْس[1]
وكل الذي صنفتُه من مؤلَّف ... على مثله في فنه تُعْقَدُ الخمس
وها أنا قد أسعفتكم بمرادكم ... به فلتقر العين ولتطب النفس
فأنت مجاز بالذي أنت طالب ... فحدث به عني إذا حصل الندس[2]
أذنتُ لكم إذنا صريحا بكل ما ... تحمَّلْتُه عن سادة لهمُ قدس
وكل الذي نَمَّقْتُهُ من مؤلَّف ... جليل من الدر النفيس به كدس
وإن شئتَ تدريسَ العلوم فَفُهْ به ... وأسألُ رب العرش أن يثمر الغرس
بشرط التحري في الأمور فكن فتى ... يجل به التخمين في الدين والحدس
فذاك الطريق الواضح الظاهر الذي ... يُنَجّي، فلازمه ففي ضده العكس
وإن أسانيدي بذاك كثيرة ... إذا عُدِّدَتْ يفنى وما تمت النقس[3]
ودونك كأسًا من معين زلالها ... سيغنيك عن شرب السوى ذلك الكأس
فعن والدي الشيخ الإمام روايتي ... لفهرسه السامي علا فهو الشمس
وعن أحمد البناني عن شيخه الإما ... م عبد الغني الدهلويِّ اليانع السلس
وهُوْ روى عن عابد حصر شارد ... وفيه غنى لا يتعرَّى قدره البخس
وعن شيخنا أعني: علي بن ظاهر ... وما قد رواه لا يحيط به طرس

(1) الطيس: العدد الكثير.
(2) الندس: الفهم.
(3) النقس: الحِبر.

فـمـمـا روى عـن مـنـة الـلـه أحـمـد عن المـالـكيِّ الشيخ الأمير ولا لبس
فـهـا فـهـرسـات أربـعٌ قـد ذكـرتُـهـا بها حصل المقصود وارتفع اللبس[94]
وأوصـيـك بـالـتـقـوى أُخـيَّ فـإنـهـا لـصـاحـبـهـا من كل ما يختشي ترس
وصـل وسـلـم يـا إلـهـي عـلـى الـذي بـه طـيـبـةٌ طابت وعم بـهـا الأنـس
وءال وأصـحـاب ومـن قـد قـفـاهـم صـلاة وتـسـلـيـمًا يَـنُـور بـهـا الـرمـس

هـ[95]

4 - فلا زلت محروس الجناب

كتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني رسالة بتاريخ يوم الخميس 28 شوال عام 1325هـ من فاس إلى المدينة المنورة لأخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني قال فيها: "وقد كنت في هذه الأيام قلت أبياتا لزومية، لم أقصد بها معيّنا، لا باللفظ ولا بالنية، لعدم وجود من ينطبق عليه هنا معناها، فها هي تملى عليك، فلتتقبلها حضرتك الكريمة بيمناها:

مـلـكـتَ الـنَّـدى حتى عَـمَـرْتَ يـبـابَـهُ ومَـدَّ عـلـى عـلـيـاك قـهـرا قِـبـابَـهُ
فـمـا هَـرَمٌ يـحـكـي نَـداك ولـو غـدا عـلـى مُـعْـتَـفِـيـهِ قـد أفـاض عُـبَـابَـهُ
فـلـو كـان عـيـنًـا كـنـتَ أنـت سـوادهـا ولـو كـان عُـمْـرًا كـنـت أنـت شـبـابـه
ولـو كـان إنـسـانًـا لـكـنـتَ حـيـاتـه ولـو كـان بُـرًّا كـنـت أنـت لُـبَـابَـهُ
ولـو كـان روضًـا كـنـتَ بـاسـمَ زهـره ولـو كـان بـيـتًـا كـنـت والله بـابـه
تـبـارك مـا أولاك ربـك مـن نـدا يـزيـل أسـى الـعـانـي ويـنـفـي تُـبَـابَـهُ
فلازلت محروس الجناب على المدى ولازلت تولي لكل عاف حُبابه[96]

5 - ما لي على هجر الأحبة من جلد

هاجر سيدي محمد بن جعفر الكتاني للمرة الثانية مع أهله إلى المدينة المنورة سنة 1328هـ، وكان أمل سيدي عبد الرحمن اللحاق به بأهله كذلك، حيث أصبح المستعمر الفرنسي داخل البلاد التي أضاعت استقلالها لأول مرة في تاريخها. فكتب سيدي عبد الرحمن لابن أخيه سيدي محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني من فاس إلى المدينة المنورة بتاريخ 29 ربيع الأول عام 1330هـ ختمها بهذه الأبيات:

ما لي على هجْرِ الأحبةِ من جَلَدْ تالله لا يقوى لبعدهمُ خلدْ
ظعنوا فمنهم مقلتي هطالة وجوانحي فيها الغرام لقد وقد
كيف التَّصَبُّرُ عنهمُ لموَلَّهٍ بهمُ، وكيف يطيب بعدهمُ البلد؟
جمع الإلهُ شتاتنا بكمُ على عَجَلٍ بطيبةَ بالأهالي والولدْ[97]

6 - أتيت حمى محمد بن جعفر

منعت الموانع العائلية سيدي عبد الرحمن من الهجرة وإن لم يكن ضاع أمله منها، خاصة بعد أن ساعده أخوه سيدي محمد ماديًّا على ذلك، فأرسل هذه الأبيات سنة 1334هـ إلى المدينة المنورة مادحا أخاه ومعبرًا له عن عواطفه:

أتيتُ حمى محمدِ بن جعفر لكيما خاطري بالسول يَظْفرْ
إمامٌ عن فضائله فحدثْ ولا حرجٌ، فذاك بذاك أشهرْ
سما مجدا وعلما وارتقاء وحاز رياسة في كل مَظْهَرْ
فكيف يَخِيبُ من وافى حِماه لقد أضحى بما يرجو مظفَّرْ
فيا بحر المكارم والندا جُد بعطف وافر للعين يُبْهِرْ
وقل لي: لا تخفْ دركًا وأمِّلْ سرورًا كاملًا ينسيك ما مر
عليك سلام مولانا يوافي مجادتك الكريمة يا ابن جعفر

هـ[98]

8 - تقريظ كتاب "النصيحة"

اجتمع سيدي محمد بن جعفر الكتاني قبل هجرته الأولى سنة 1325هـ مع السلطان مولاي عبد العزيز باسم علماء فاس ينصحه. وقال له: "إني كتبت لكم نصيحة عامة إن عملت بها أغنتك". وكانت هي أساس كتابه "نصيحة أهل الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، الخاص منهم والعام" ضمنها المؤلف أحدَ عشرَ سببًا من الأسباب التي استوجبت انحطاط المسلمين، ثم أعقب أسباب النجاح. وقد انتهى من طبع هذا الكتاب بعد الرجوع من الهجرة الأولى على الطبعة الحجرية بفاس صبيحة يوم السبت 10 ربيع الأول عام 1326هـ. وقرظه سيدي عبد الرحمن بهذا التقريظ بعد الانتهاء من تصحيحه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم، يقول مصححه العبد الفقير الجاني، عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، جعله الله ممن ليس له عن طاعته ثاني، بجاه من أوتي السبع المثاني: الحمد لله الذي قيض لهذه الشريعة المحمدية في كل عصر من يذب عنها بالبراهين الصحيحة. ووفق من أراد به خيرا لقبول النصيحة. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المؤيَّد بالمعجزات الصريحة، القائل فيما رواه عنه الثقات: "الدين النصيحة"، وعلى آله وأصحابه، وكل منتسب إلى علي جنابه".

"أما بعد؛ فإن الله تعالى لم يزل يقيّض لنصرة الدين رجالًا. كلما وهن شيء من معالمه انتدبوا لتشييد مبانيه عجالا. وإن ممن أقامه الله تعالى في هذا المقام فكان أسبقهم مجالا، وتصدر لنصح أهل الإسلام، فكان أوسعهم سجالا، أخونا وشيخنا الإمام، علم الأعلام، شيخ الإسلام، وبركة الخاص والعام، الكامل الوصف، والواحد المعدود بالألف، الفقيه المحدث الصوفي، الذي صافى فصوفي.

علامة العلماء والبحر الذي	لا ينتهي ولكل بحر ساحل
بين الشريعة والحقيقة جامع	متمسك بدعائم الفقهاء

"مولانا محمد ابن شيخ المشايخ، وطود المجد الشامخ، شريف العلماء، وعالم الشرفاء، المتضلع بالعلوم النقلية والعقلية، والمتقدم في العلوم المرضية الشرعية، قدوة الأنام، ومصباح الظلام، شيخنا ووالدنا أبو الفيض مولانا جعفر الكتاني، منحنا الله بجاههما دار التهاني[99]".

"فحبانا، حفظه الله تعالى وأدام عليه نعمه تتوالى، بهذه الرسالة الجامعة، والنصيحة النافعة، التي يحق لها أن تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب، ويسارع إلى اقتنائها وقبولها من أراد تطهير صحائفه من أوساخ الذنوب. وكفاه شرفا وفضلا، ودليلا على ما قام به من جميل الأوصاف، وعلى قيام سيادته بهذا الواجب على الأعيان، سيما في مثل هذه الأزمان. ولا غرو في ذلك، فإنه الجدير بما هنالك. وكيف يستغرب وجود الدر في معدنه، والفضل في موطنه. فالله يجازيه عن الإسلام وأهله أفضل ما جازى به أحدًا من فضله".

"ولعَمري إن من وفّقه الله تعالى للعمل بهذه النصائح. والقيام على ساق الجدّ

في التخلص من ورطة هاتيك الفضائح، لجدير أن تتوالى عليه من الله تعالى الفتوحات والمنائح، وينال بسبب ذلك عند الله أفضل المتاجر. وفقنا الله لما فيه رضاه. وأرشدنا لاتباع شريعة خير خلقه وهداه".

"وللحرص على عموم نفعها، رغب سيدنا المؤلف حفظه الله في طبعها. فتسابق إلى ذلك الشريفان الجليلان الماجدان النبيلا، الفقيه سيدي محمد التبر ومولاي علي التلمساني، أنالهما الله جميع الأماني. وقد بذلت الجهد في تصحيحها بقدر الاستطاعة، ولم آل في موافقة الفرع للأصل وإن كنت مزجي البضاعة. ثم بعد الطبع نظرت فيها ثانيا. فوجدت ما أوجب أن أكون لعنان بيان الصواب ثانيا. وقد نبهت على ذلك بعد هذا. ليكون لقارئها عند الالتباس ملاذًا. وكان هذا الطبع الفائق. على هذا الشكل الرائق، بحضرة فاس. العاطرة الأنفاس، في ظل الإمام الذي تعطرت الأفواه بثنائه، والبدر الذي يقصر البدر عن مضاهاة سنائه، جامع كلمة الإسلام بعد شتاتها، ومحيي رسوم الخلافة بعد مواتها، سلطان العلماء وعالم السلاطين، المحفوظ إن شاء الله تعالى من نزغات الشياطين، من ألقى إليه هذا القطر المغربي الرسن، أمير المؤمنين مولانا عبد الحفيظ بن مولانا الحسن، أدام الله تعالى صعوده، ووالى عليه سعوده، وأشاد بنوده، وأعز جنوده، وأحيى به سنة جده عليه الصلاة والسلام، وجعلها كلمة باقية في عقبه على الدوام، بالنبي وآله، والبخاري ورجاله".

"ولما تم طبعه على أحسن وصف. في العشرين من شعبان عام ستة وعشرين وثمانمائة وألف، أرخته بهذه الأبيات من بحر الطويل، على حسب ما سمح به الذهن الفاتر العليل: [100]

كتابٌ تبدّى نورُه فاكتسى الدُجا ضياءً، سناهُ دونه الشمسُ ضاحيةْ
أبان طريق الحق صادِقُ فجره وأرشد من يقفوه في كل ناحية
تبدّت معانيه لكل مطالع كما أحكم الشيخُ الإمامُ مبانيه
فلو نظر الأعمى إليه اهتدى به وأبصر ما لم تستطعه اليمامية
عليك به يا صاحب الحزم واقتفي جلالته، فالله يرشد قافيه
فما هو إلى جَنَّةٌ فاح عَرْفُها قُطُوفُ جناها اليانعِ الغضِّ دانية
تفجرت الأنهار فيها بما تشا وما في مغانيها وحقك لاغية

جزى الله عنا بالذي هو أهله مؤلفَهُ في سرّه والعلانية
وأبقاه للإسلام يحمي جنابه ويحرسه من كل باغ وباغية
وأرشد للخيرات من كان طبْعُهُ بهمته حتى غدا متناهيه
وتاريخ هذا الطبع ينشد دونكم: أُويل المعالي ذي النصائحُ كافية

هـ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلّم".[101]

الفصل السابع

في الشيخ ماء العينين الشنجيطي

1. ترحيب أول بالشيخ ماء العينين.

2. ترحيب ثانٍ بالشيخ ماء العينين.

3. رسالة إلى الشيخ ماء العينين.

4. تاريخ أول لتأسيس زاوية الشيخ ماء العينين بفاس.

5. تاريخ ثان لتأسيس زاوية الشيخ ماء العينين بفاس.

6. إهداء للشيخ ماء العينين.

7. تقريظ "سهل المرتقى" و"المفاضل النورانية".

8. تقريظ "إظهار الطريق" و"قرة العينين".

9. تقريظ "دليل الرفاق".

10. تقريظ "تبيين الغموض".

11. تقريظ "مغري الناظر".

12. تقريظ "ثمار المزهر"[102].



1 - ترحيب أول بالشيخ ماء العينين

كان الشيخ محمد مصطفى ماء العينين الشنجيطي المشهور، والمولود سنة 1246 والمتوفى في 24 شوال عام 1328هـ، شيخًا لسيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني وكانت تربطه وعائلته بالعائلة الكتانية رباط العلم والدين والجهاد في سبيل الله، وكان كل أعضاء العائلة الكتانية يجلون الشيخ ماء العينين إجلالًا كبيرًا ويقدرونه تقديرًا عظيمًا، وكان هو كذلك رحمه الله يبادلهم تقديرًا بتقدير ومحبة بمحبة. فعندما قدم الشيخ ماء العينين لفاس سنة 1322هـ استقبله أفراد العائلة بالترحاب، وألقى سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني هذه القصيدة مرحبا به ترحيب التلميذ بشيخه:

بدتْ في الحليِّ يعلوها سناءُ	فتاةٌ عندها حَلَّ السِّباءُ
بمفرَد حسنها ملكتْ فؤادي	فهام بها، فليس له انثناء
يفوق جمالها بدر الدياجي	وتخجل من محياها ذُكاء
كأن الشمس تطلع من سناها	ومنها البدر يدركه السناء
إذا ما أسفرتْ عن حَرِّ وجهٍ	فشمس الأفق ليس لها بقاء
كلفت بها زمانَ فُطِمت حتى	غدا للصلب من ظهري انحناء
لها مني جميل الود طرًا	ولي منها الملامة والجفاء
ولما أن جفت عيني كراها	وطال البعد وامتنع اللقاء
وعز الصبر مني عن لقاها	فما لحشاشتي عنه ارعواء
بدت يوما وظنت أن قلبي	سلا عنها وفارقه العناء
وقالت لي: عهدتك لست تسلو	هواي، فأين يا صاح الوفاء؟
فقلت لها: نعم لا لا ولكن	بمقدم شيخنا حصل الهناء
أريد الشيخ ما العينين من في	مديح علاه قد قصر الثناء
إمام لا يطاوله إمام	وبحر لا تكدره الدلاء
حباه إلاهه مذ كان طفلًا	بفضلٍ ماله قط انقضاء
حوى كل الكمال فليس يلفى	كمال ليس فيه له وفاء
تقاصرت المعالي عن علاه	فما أحد عليه له اعتلاء
علا قدرا ومرتبة ووصفًا	ففي علياه قد كمل العلاء[103]

وحاز من المعارف منتهاها فمن وافاه منه له امتلاء
ولامته المكارم في صباه فنال علاه منها ما يشاء
تكامل حسنه خَلقا وخُلقا فحدِّثْ عن سناه بما تشاء
لقد بهرتْ فضائله، وعمت أياديه، ففاق بها الفضاء
وضاء به الزمان فمذ تبدَّى غدا ليلُ الضلال له انمحاء
إذا ما جئته يوليك بِشْرًا وبحرا من نَداه له صفاء
ففي يوم السماح له ابتسام وفي يوم الوطيس له دهاء
وفي علم الرسوم مديد باع له للجهل صار به الجلاء
وفي علم الحقيقة ليس إلا به عن ذاك ينكشف الغطاء
وفي تهذيب أخلاق التلاقي فريدٌ لا تطاوله سماء
يُوَصِّلُهُم إلى المولى سريعًا ويجلو الذِّكرُ منهم ما أساؤوا
فمن ذا أمّ حضرته صباحًا يوصله وما حصل المساء
ومن قد أمّ حضرته مساء يُوَصِّلُهُ وما ظهر الضياء
لقد حزنا أهيل الغرب فخرا به ولنا به حق الهناء
أيا مولاي ما العينين جُدْ لي بوصل ما لغايته ارتقاء
وِصال لا يشابهه وصال وما أحد لديه له ابتداء
بحقك لا تضيِّع فيك مدحي وحقق فيك لي ما قد أشاء
فإن النفس قد جمعت وضلت بوادٍ للضلال له انتماء
ومالي ما به أقوى عليها سوى أني بمدحك لي اعتناء
وقد أنشأته مِن وافرٍ كي يُرى لي وافر منك العطاء
وما قصدي عطاء سوف يغني ولكن ما يكون له بقاء
وكان رويُّها همزًا لكيما من الهَمَزَات يحصل لي احتماء
فهب لي منك مامولي تمامًا ولا تمطل فقد عظم الرجاء
وقابل بالقبول قبيح وصفي وأمراضي، فعندكمُ الدواء
وسر بي سير خِرِّيتٍ بصير له عند التحير الاهتداء
إلى أن لا أشاهد لي فناء وبالمولى يكون ليَ البقاء
إلى ما لستُ أعلمه وعنه تقاصرت المعاني والذكاء[104]

وأعطي قول كن فيكون قولي ... وسرُّ السرّ ليس له اختفاء
وينفعل المكوّن لي جميعا ... وغاية مطلبي منه الرضاء
بجدك أفضل الأرسال طرا ... ومن منه استمد الأنبياء
عليه الله صلى مع سلام ... سليم لا تخالطه رياء
وآل والصحاب وتابعيهم ... ومن لهمُ لحضرته انتهاء

هـ[105]

2 - ترحيب ثان بالشيخ ماء العينين

ثم مدح سيدي عبد الرحمن الكتاني ماء العينين في قصيدة أخرى حيث قال: "وقلت في مدح الشيخ ماء العينين أطال الله حياته معافى عند قدومه على هذه الحضرة الإدريسية صانها الله تعالى":

أبشرْ؛ فإن السَّعْد مُذ وافاك ... وجميع ما تهواه قد وافاك
ولقد تباعد عن فؤادي حُزْنُهُ ... من بعد ما قد طال ما أضناكا
بشراك يا قلبي لقد حصل المنى ... ومُنِحْتَ ما ترجوه من مولاكا
هذا إمام العصر قطب ذوي النهى ... بوصاله الربُّ الرؤوف حباكا
تاج الأكابر فرد أهل زمانه ... ذو همة قد جازت الأفلاكا
شيخ الشريعة والحقيقة والطريقة ... ماله من مشبه في ذاكا
من حاز في العلمين أرفع رتبة ... ما نال ذو علم لها إدراكا
غوث الورى مولاي ما العينين من ... وافى حماه لا يخاف هلاكا
يا مَجْمَعَ البحرين يا عَلَمَ الهدى ... تالله ما أحدٌ جرى مجراكا
بكمُ ازدهتْ فاسٌ وأخصَبَ رَبْعُهَا ... وتمايلتْ فرحا بطيب لقاكا
ولقد قصدتُك يا بن أكرم مرسَل ... كيما تداوي علتي بدواكا
فبحقّ من أولاك أرفعَ رتبة ... عنها تقاصر من يروم مداكا
وبحق جدك والبتول وبعلها ... وبحق نجليها ومَن والاكا
وبحق الانجال الكرام جميعهم ... وبحق كل من احتمى بحماكا
أمنن عليّ بنظرة أحيا بها ... فأنا الفقير إلى علي علاكا
واعطفْ عليّ وإن أكن يا سيدي ... ممن تقاصر قدره عن ذاكا

مـا خـاب مـن وافـاك يـبـغـي مـطـلـبـا   حـاشـا عـلاك يَـخِـيـبُ مـن وافـاكـا
أَنَّـا يـخـيـب وفـضـلـكـم مـا إن لـه   حـصـر ومـجـدك جـاوز الإدراكـا؟
بـالـلـه واصـلـنـي وصـل فـرحـي فـقـد   أنـزلـتُ آمـالـي لـدى مـثـواكـا
وإلـيـك مـعـذرتـي فـلـسـت بـشـاعـر   لـكـنَّ حـبـك مـوجـب ذكـراكـا
ثـم الـصـلاة عـلـى الـنـبـي وآلـه   مـا حـنّ مـشـتـاق إلـى رؤيـاك

[106هـ]

3 - رسالة إلى الشيخ ماء العينين

وكتب سيدي عبد الرحمن الكتاني هذه الرسالة الشعرية إلى الشيخ ماء العينين:

إلـى بـحـر الـمـعـانـي والـمـعـالـي   ومِـرآة الـمـحـاسـن والـكـمـال
وجـامـع مـا تـفـرق مـن بـديـع   الـمـفـاخـر والـمـحـامـد والـخـلال
ومَـنْ قـد خـصّـه الـمـولـى بـمـا لـم   يُـخَـصُّ بـه سـواه مـن الـرجـال
فـكـم قـد حـاز مـن فـضـل عـلـي   ومـن وصـف تـسـامـى عـن مـثـال
إمـام الـعـصـر قـطـب ذوي الـنُّـهـى، بـل   خـلـيـفـة جـده فـي كـل حـال
فـغـايـة مـا نـقـول إذا مـدحـنـا   عـلاه ولـم نـفـصِّـل فـي الـمـقـال
وعـن وصـف الـنـبـوءة ثـم صـفـه   بـمـا قـد شـئـت مـن كـل الـمـعـالـي
أريـد الـشـيـخ مـا الـعـيـنـيـن مـن لا   يـجـاريـه مـجـار فـي مـجـال
عـلـيـكـم بـعـد تـقـبـيـل الأيـادي   وتـمـريـغ الـخـدود عـلـى الـرمـال
سـلام مـن عُـبَـيْـدٍ قـد أقـامـت   مـحـبـتـكـم لـديـه عـلـى الـتـوال
أقـام الـجـسـمُ مـنـه بـأرض فـاس   وفـي شـنـجـيـط أضـحـى الـقـلـبُ سـالـي
وإن تـسـأل عـن الأحـوال إنـي   بـحـمـد الـلـه ذو حـال حـلا لـي
سـوى أن الـفـؤاد يـريـد مـنـكـم   صـفـاء سـالـمـا دون انـحـلال
وشُـربًـا مـن شـرابـك يـا مـنـائـي   ونـيـلَ الـقـصـد فـورًا والـنـوال
فـعـجّـل لـي بـمـا قـد شـئـتُ مـنـكـم   فـلا صـبـرٌ عـلـى حـمـل الـنـوى لـي
بـحـق الـمـصـطـفـى والـصـحـب طـرا   وأزواج وأولاد وآل
أنـلـنـي مـا أريـد ولا تـخـيِّـب   رجـائـي فـيـك يـا بـحـر الـلآلـي

وأنهي خير أنواع التحايا إلى الأنجال داموا في كمال
عُبَيْدُك عابدُ الرحمن نجلٌ لجعفر من سما فوق الهلال
إلى الكتان قد نسبوه لكن إليك الآن يُنْسَبُ بالتوال
شفاه الله مما قد عراه وحلاه بأنواع الكمال

هـ[107]

4 - تاريخ أول لتأسيس زاوية الشيخ ماء العينين بفاس

وبمناسبة افتتاح0 زاوية الشيخ ماء العينين الشنجيطي بفاس سنة 1321هـ قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مؤرخا:

سما فخري بلا حد يحُلُّه بنسبته إلى من بان فضلُهْ
كفاني شاهدا تاريخه وا مريد الفتح آت هنا محله

هـ[108]

5 - تاريخ ثان لتأسيس زاوية الشيخ

وفي نفس المناسبة سنة 1321هـ قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مؤرخا بناء زاوية الشيخ ماء العينين:

سما فخاري، فلا يحُلُّهْ غيري، ولا عقده يحلهْ
كفاك تاريخه دليلا: الفتحُ إياها ذا مَحَلُّهْ

هـ[109]

6 - إهداء للشيخ ماء العينين

وأهدي للشيخ سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني نسخة من كتاب "قوت القلوب" لأبي طالب المكي، فقال: "وكتبت على ظهر نسخة من قوت القلوب لأبي طالب المكي أهديتها لشيخنا الشيخ ماء العينين، أمد الله بمدده آمين:

للشيخ ما العينين أُهدي القوتا قوت القلوب الفائق الياقوتا
ياقوت قلب المستهام بحبه هب لي فديتك من جنابك قوتا

قوت القلوب أريد يا غوث الورى ... كي لا أرى بين الورى ممقوتا
لا مقت يخشى من أضيف إليكم ... قد كان ذلك واجبًا موقوتا

هـ[110]

7 - تقريظ "سهل المرتقى" و"المفاضل النورانية"

قال سيدي عبد الرحمن الكتاني في تقريظ مؤلفين للشيخ ماء العينين الشنجيطي: "وقلت مقرظًا تأليفه "سهل المرتقى في الحث على التقى" و"المقاصد النوارنية في ذكر من ذاته وصفاته متعالية":

باتقاء الإلٰه في كل حال ... يدركُ المرءُ غاية الآمال
جُمعَتْ في التقى جميعُ المزايا ... فهْي قطب لسائر الأعمال لابسا ثوب
فاز والله متقيه وأضحى ... رفعة وكمال
كم له من مناقبٍ أخبر الله ... بها في الكتاب ذي الإكمال
ليس عندي بسيِّدٍ سيِّدُ العلم ... أو المال لا ولو باحتمال
إنما المتقي الإلٰه هو السيد ... عند التفصيل والإجمال
ساد والله كل من ساد بالعلم ... أو الأصل صاحِ أو بالمال
وبذكر الإلٰه في كل حين ... بحضورٍ تُنال كل المعالي
وبه تنجلي عن القلب أكدا ... ر، ويجلى صدى له كان عالي
وبه ترتقي علي المقاما ... ت وذو الذكر دائما في تعالي
وهْو مفتاح كل خير وسر ... ودنوٌّ لحضرة المتعالي
فالزم الذكر والتقى يا خليلي ... أبدا جَهْد وسم أهل الكمال
وإذا شئت أن تزيد اغتباطا ... بهما كي تحوز أفضل حال
فإذا ما جنّ الظلامُ فسامر ... "أسهل المرتقى" العديمَ المثال
وكذا صنوه "المقاصد" من قد ... صار في الحسن للمقدَّم تالي
للإمام الهمام غوث البرايا ... نخبة الصالحين ذي الأفضال
قطب أهل التقى وكهف المعالي ... والمداوي من كل داء عضال
مفرَد العصر سيدي الشيخ ما ... العينين بحر المعارف المفضال
ذي الكرامات والمناقب والعر ... فان والإختصاص والإجلال

من لـه في العلوم باعٌ مديد ليس للغير حوله من مجال
من إذا أتى حماه مريد في قريب يرقى مراقي الرجال[111]
ربنا فلتطِل بقاه معافى سالما من مضرة واعتلال
وأنلنا بجاهه كل ما نر جوه من فضلك العظيم النوال
بالنبيِّ المقرَّب المجتبى أحمد ذي النور الأعظم المتلالي
صل يا ربنا وسلم عليه وعلى صحبه وأكرم آل
ماشدا منشد يقول بحسن الصوت مع نغمة وطيب اعتدال
باتقاء الإله في كل حال يدرك المرء غاية الآمال

هـ[112]

8 - تقريظ "إظهار الطريق" و"قرة العينين"

وقال سيدي عبد الرحمن الكتاني في تقريظ مؤلفين آخرين للشيخ ماء العينين الشنجيطي: "وقلت مقرظا تأليفه ومؤرخا طبع تأليفيه "إظهار الطريق المشتهر" و"قرة العينين في الكلام على رؤية الباري في الدارين":

بادرْ هديتَ النفسَ بالإصلاحِ واعصِ العَذولَ، ودع مقال اللاحي
واترك هواك ولا تملْ أبدا إلى ما تشتهيه النفسُ دون فلاح
واسلك مسالك من رقوا أسمى المرا قي في الغدو وعند كل رواح
قومٌ بتطهير الفؤاد تشاغلوا أبدا وما التفتوا إلى الأشباح
فاتبع طريقهُم تنل ما شئت من حلل الرضى وكرائم الأمناح
لا تعد عنه فإنه ما أمّه حيران إلا آب بالأفراح
واجعل دليلك نحوه يهديك ما أبدته فكرة ذي السنا الوضاح
العالم العلامة النحرير مَنْ عَمَّ الأنامَ بفيضه السَيَّاح
كهف الأنام إمام أهل زمانه شيخ المشايخ مرهم الأرواح
رب المعارف والمناقب والكرا مات التي ظهرت ظهور صباح
أعني بذلك شيخنا مولانا ما العينين ما أعلاه من جحجاح
لله ما أبداه من شرح به قد نارت الأفكار كالمصباح
كم فيه من حِكَمٍ وأسرار غدت بجمالها تنسيك ذات وشاح

فهو المبيِّن للطريق حقيقة ... وهُو الدليل بحضرة الفتّاح
و"بقُرّة العينين" قرَّ ذوو النهى ... عينا وما هو فيه بالأفراح
كَشَفَ النقاب ولم يدع من شبهة ... إلا أزال بغاية الإيضاح
قد كان كلٌّ منهما في خِدْرِهِ ... متمنعا عن ذي ندى وسماح
فكساهما ذا الطبع أجمل حلة ... وحباك وصلهما بخير جناح
فانهض بعزم لاقتنائهما ولو ... بنفائس الأموال والأرباح
وادع الإله لمن تسبب فيهما ... وارجع بذاك إليه بطن الراح
شكر الوسائط واجب في شرعنا ... بنصوص أخبار النبيِّ الماحي[113]
صلى عليه الله معْ أصحابه ... والآل ما وافى نسيم صباح
متلوة أزكى السلام عليهمُ ... ما غنت الأطيار في الأدواح
إن قلت: ما تاريخه. قل صاح: بل ... بادر هديت النفس بالإصلاح

هـ[114]

9 - تقريظ "دليل الرفاق"

قال سيدي عبد الرحمن الكتاني مقرظا تأليف الشيخ ماء العينين "دليل الرفاق" الذي طبع سنة 1321هـ:

تَفَقَّهْ، فإن الفقهَ أفضلُ ما اعتنَى ... به المرءُ في الدنيا، وأفضل ما اقتنَى
عليك به، فهْوَ المُوَصِّلُ للعُلى ... ومفتاح أبواب السيادة والثنا
به يَعْرِفُ الإنسانُ ما الله آمرٌ ... به والذي عنه نهاه من الخنا
ومن لم يكن يدريه فهْو الذي على ... شفى جرْف هارٍ لقد أسس البنا
فإن صام أو صلّى وحجّ فإنما ... يكون له منها المشقة والعنا
فلازمْه طول العُمْر تسعدْ، فإنه ... لمعراج إدراكِ السعادة والمنا
ولا تعدونْ عيناك عنه لغيره ... ودع عنك في تحصيله العجْزَ والونا
ولا سيما ما نمقته بنان من ... حوى كلَّ وصف حسن قد تمكنا
إمام الورى غوث الزمان وغيثه ... ومظهر مكنون العلوم بلا ونا
خليفة خير الخلق في الكون كله ... ومفتاح أبواب الوصول إلى المنى
هو الشيخ ما العينين من قدره سما ... ومَن نورُه بادٍ لمن شطّ أو دنا

هو البدر إلا أنه غير آفل | هو الشمس إلا أنه زائد السنا
هو البحر إلا أنه العذب والسما | علوا ولكن مالها ذلك السنا
كفاك دليلا في عُلُوٍّ مقامه | تآليفه الغرُّ التي عمَّت الدُّنا
فإن كلام المرء يبدي كماله | ويخبر عما فيه قد كان كامنا
ولا سيما هذا الكتاب فإنه | غدا كاسمه فهو الجدير بالاقتنا
فدونكه سهل التداول بعدما | تحجَّب في علياه عن كل من رنا
وقد زاده الطبع حسنًا ورونقا | فمن قد رآه عزمه نحوه انثنى
فجازي إله العرش عنا بفضله | جميع الذي في طبعه كان ذا اعتنا
بجاه إمام الرسْل أفضل من سما | على الناس قدرا وانتسابا وموطنا
عليه صلاة الله ثم سلامه | وآل وأصحاب ومَن بعدُ أحسنا
صلاة وتسليمًا يدومان ما مشى | حجيج إلى بيت وسار إلى منى
وقل إن ترد تاريخ طبع ختامه: | تولع به والزمه عندك[1] ديدنا

هـ[115]

10 - تقريظ "تبيين الغموض"

وقال سيدي عبد الرحمن الكتاني في تقريظ كتاب للشيخ ماء العينين طبع سنة 1320هـ ما يلي: "وقلت مؤرخا طبع شرحه المسمى "تبيين الغموض على نعت العروض":

مِن أجلِّ العلومِ: علمُ العَروض | فتنزّه في روضه المنفوض
وإذا رمت للمعالي نهوضا | فتمسك بحبله في النهوض
إن علم العروض أنفع علم | لأديب وشاعر مبروض
وتصانيفه وإن كثرت ليست توازي | في الحسن "نعت العروض"
ولقد زاد حسنه الشرح حسنا | بالذي فيه من بيان الغموض
كيف لا وهو من نتائج فكر الشيخ | ماء العيون خير مروض

(1) في الأصل: فيك، غير أنه لا يستقيم وزنا. مصحح.

صانه الله من جميع الدواهي ووقى كل جسمه من نتوض
بنبي الهدى وخير الورى من حبه واجب وجوب الفروض
صل ربنا وسلم عليه عدد الدر والحصى والبعوض
وعلى الآل والصحابة طرا كلما سار شائق للعروض
ولتؤرخ إذا تشا دون قبض: تم طبعا بيان "نعت العروض"

[116]هـ

11 - تقريظ "مغري الناظر"

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في تقريظ كتاب "مغري الناظر والسامع على تعلم النافع" لشيخه الشيخ ماء العينين من البحر السريع:

روضُ العلوم أبدًا ناضرُ يَشهَدُهُ السامع والناظرُ
لا يعتري الأزهارَ فيه دويٌّ بل حيٌّ زهره زاهر
فصفه بالحسن ولا تختشي فحسنه في الورى ظاهر
والزم إذا شئت العلا من بابه فبابك له باب شاهر
واهجر لذيذ القوم إن جئته لا يستوي القائم والساهر
واجعل سفيرك تنل منتهى سؤلك مقرائها الماهر
للشيخ ما العينين قطب الورى من نوره الباهي لنا باهر
لازال فينا باقيا باهيا مقدسا وسره طاهر
لله ذا التأليف من حسنه يخجل بدر في الدجى هامر
معْ أنه من بحره نقطة بل رشحة إذ بحره زاخر
إن قلت: ما الدليل. قلت: كفى تاريخه بشاهدي حاضر

[117]هـ

12 - تقريظ "ثمار المزهر"

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في تقريظ كتاب شيخه الشيخ ماء العينين المسمى "ثمار المزهر" الذي طبع سنة 1324:

خَلِّ عنا نغَماتِ المِزْهَرِ ... وأنلنا من "ثمار المُزهِرِ"
روض علم أينعت أزهاره ... فغدا جامع معنى أزهر
مال قلبي نحوه لما بدا ... مثل ميل العين نحو المبهر
يضبط الشيخ به لو أبصر ... ته عيون المجد بل والجوهر
ويقينا لو رأى أزهاره ... لهناه الإمام الأزهري
حق أن يبذل ذو اللب ... لتحصيله أبهى صحاح الجوهر
أبذل المجهود فيه لو تجد ... في تعاطيه عناء الأبهر
فلقد أبرزه الطبع لنا ... في سما الكُتْب كبدر أشهر
إذ تناها جمعه أرخته: ... دونكم قطعا ثمار المزهر

[118]هـ



الفصـل الثـامـن

فـي الشيخ أبي العباس أحمد بن الشمس

1 - مدح الشيخ أحمد بن الشمس

2 - نفس المعنى

3 - جد لي بما أرجوه

4 - تهنئة بعرس

5 - الشيخ أحمد بن الشمس وسلا

6 - هدية للشيخ أحمد بن الشمس

7 - تقريظ "النفحات"

8 - طال شوقي لمحياك[119]



1 - مدح الشيخ أحمد بن الشمس

كان الأديب الشيخ أحمد بن الشمس خليفة للشيخ ماء العينين على زاويته بفاس. وكانت له علاقة وثيقة بأفراد العائلة الكتانية في فاس ثم في المدينة المنورة بعد هجرته لها، وقد توفي بها في 21 جمادى الثانية عام 1342هـ وترك أربع بنات، إحداهن متزوجة والباقيات صغار. قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وقلت في مدح شيخنا الشيخ أحمد بن الشمس خليفة شيخنا حفظهما الله:

هام فؤادي بحب أمردْ … بالحُسن بين الورى تَفَرَّدْ
إذا بدا للورى سناه … أخجل شمس الضحى وأخمد
وريحه إن شممتَ ريا … ه، قلتَ: ما عنبر وما الند؟!
أحْوَرُ لَدْنُ القِوام ألمى … وثغره جوهر منضد
وقدُّهُ مثل غصن بان … وخده ناعم مُوَرَّدْ
يقول من قد رأى بهاه: … سبحان من صاغه وأوجد
أسستُ بالقلب حصن صبر … عن حبه عندما انقضى انهد
وكلما زاد في جفاه … زاد غرامي به بلا حد
يا ليته جاد لي بوصل … أو كان لي بالوصال واعد
كم من عليل بصده، بل … كم من قتيل بطرفه قد
لم أدرِ أين الفؤاد لما … أراد قتلي به وسدد
فقلت: مهلا فدتك نفسي … وانظر فما من رأى كمن قد
أما ترى الدمع من جفوني … مسلسلا قد جرى على الخد؟
أما ترى الجسم قد تولت … بَهْجَتُهُ بالبعاد والصد؟
أما ترى النوم قد جفاني … وعاذلي فيك لستُ أحمد
بالله رفقا بمستهام … ليس له عن هواك من رد
يا قوم هل عندكم طبيب … علاجه للقلوب يحمد
قالوا: نعم قلت: من. فقالوا … ذاك الهمام الأجل أحمد[120]
فقلت: من أحمدٌ. فقالوا: … شمس البرايا بكل مشهد
خليفة الشيخ من أقرت … بفضله أصدقا وحسد
الكامل الفاضل المفدَّى … بالنفس والأهل والزبرجد

من جمع الله فيه ما في غيره من سؤدد تبدد
قل فيه ما شئت من ثناء فأنت في ذاك لا تُفَنَّدْ
لا عيب فيه يقال إلا أن معاليه لا تعدد
ليس له في العلا شبيه بذاك من قد رآه يشهد
فاق البرايا بدون شك فهْو بهذا الزمان أوحد
حاز جميل الصفات لكن بحسن أخلاقه تفرد
مَنْ أمَّه عمه نداه إذ بسطَ كفيه قد تعود
يا كامل الفضل يا عليا في قدره ليس ذاك يُجحد
عطفًا سريعًا ولا تماطل وأولني منك كل مقصد
حتى أُرَى فاني الفناء وبيقاء البقا مُسَرْمَدْ
وتكشف الحجب عن حياتي حتى لذات الإلٰه أشهد
بجاه خير الأنام طرًا وسيد الأنبيا محمد
صل وسلم عليه ربي ما ناح طير الفلا وغرد
والآل والصحب ما توالت قصائد المدح فيه تُنْشَدْ

[121]هـ

2 - نفس المعنّى

وفي مناسبة خاصة قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مادحًا الشيخ أحمد ابن الشمس خليفة الشيخ ماء العينين بفاس، ما يلي:

نفْسُ المعَنّى على أبوابكم وقَفَتْ ومُهجتي بهوى علياكمُ شرُفتْ
يا ليت شعريَ هل قلبي يعود وهل لي من وصال بمن روحي به كلفت
أفديه من رشأٍ فاق البدور سنا فما بدره إلا وقد خسفت
حاز الجمال فما ينفكُّ ناظره إلا ووجهته إليه قد صرفت
رام العذول سلوّي عن هواه، فمذ رأى محاسنه اللاتي حَلَتْ وصفت
غدا يكفكف دمع العين منسجمًا ومن لذيذ الكرى أجفانه أنفت
سطا عليه بسهم من لواحظه فخامرته خمور الحب وانكشفت
من مُنْصِفِي يا خليلي مِن هوى رشأ بهجر عشاقه أنفاسُه ألفت

إن قلت: قد عيل صبري في هواك فجد ... بالوصل فالروح عن إعراضكم ضعفت
يقول: هيهات وصلي ليس يدركه ... إلا الذي روحه في حبنا تلفت
لله أشكو الذي قاسيت منه فلو ... أن الجبال تقاسي بعضه لحفت
كم ليلة بت من إعراضه أرقا ... وأدمع العين فوق الخد قد ذرفت
وقلت: يا أملي ويا مُنَى خلدي ... أما ترى جسدي، فما إلي لفت
ولم أجد مِن ملاذ أستجير به ... إلا حمى من له كل المعالي وفت
مأوى الفخار وينبوع السخاء ومن ... أخلاقه بكمال الحسن قد وصفت
العالم العامل الدراك من شهدت ... له الورى بجميع الفضل واعترفت
حاوي الفضائل معدن المكارم من ... منه الفضائل كلُّ الناس قد غرفت
أعني بذاك أبا العباس أحمد مَن ... علياه بين الورى بالشمس قد عُرفت
شمسٌ ولكنها في الأفق ما طلعت ... إلا وغابت شموس الأفْق أو كسفت
لا غرْوَ أنْ جُمعت فيه الفضائل إذ ... كان المربي له به العلا عكفت
غوث الورى الشيخ ما العينين من سطعت ... أنواره فجلت ظلامنا ونفت
لازال يحفظه الباري ويكلأه ... وعن خليفته الأسوا به صرفت[122]
بالمصطفى المجتبى خير الأنام ومن ... أنواره قد نفت أدواءنا وشفت
عليه أزكى صلاة الله يتبعها ... مني سلام يضاهي ديمة وكفت
وآله الغرّ والأصحاب ما قرئت: ... نفس المعنَّى على أبوابكم وقفت

هـ[123]

3 - جد لي بما أرجوه

وكتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني للشيخ أحمد بن الشمس خليفة الشيخ ماء العينين يطلب منه الإجازة:

يا سيدي أحمد بن الشمس جدْ لي بما ... أرجوه منك بلا مَطْلٍ على عَجَلِ
مضى الزمان ولا وصلٌ أُسَرُّ به ... ولا شفاءٌ لدى قلبي، فوا خجلي
بالله جُدْ لي بما أرجوه منك، وإن ... كنتُ المقصر في قول وفي عمل
فهمة الشيخ تدني كل شاسعة ... وتبريء القلب مما فيه من علل
وأنت لا شكّ عندي في اتصافكم ... بما ذكرتُ، فجد يا غاية الأمل

فـورا بـلا مَـهَـلٍ فـورا بـلا مـهـل ... فـورا بـلا مـهـل فـورا بـلا مـهـل
بـالـمـصـطـفـى الـمـجـتـبـى والآل قـاطـبـةً ... وشيخنا الشيخ ما العينين خير ولي

هـ[124]

4 - تهنئة بعرس

وفي سنة 1321هـ تزوج الشيخ أحمد بن الشمس فقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مهنئا: الحمد لله، وقلت مهنئا أبا العباس أحمد بن الشمس الشنجيطي بعرس:

رَبْـعُ الـسـرور مـشـيَّـدُ الأركـان ... فـاشـرب كـؤوس مـسـرة وتـهـانـي
أَوَ مَـا تـرى الأطـيـار فـي أغـصـانـهـا ... طـربًـا شَـدَتْ بـلـطـائـف الألـحـان
والأرض قـد لـبـسـت حـلاهـا وازدهـت ... بـبـدائـع الأزهـار والأفـنـان
والـشـمـس قـد سـطـعـت وزاد ضـيـاؤهـا ... تـحـكـي مـحـيـا الـشـيـخ ذي الـعـرفـان
الـعـالـم الـعـلامـة الأسـمـى الـذي ... أربـت فـصـاحـتـه عـلـى سـحـبـان
فـخـر الـزمـان ومـرشـد الأقـوام مـن ... مـلـك الـعـلا وسـمـا عـلـى الأقـران
مـفـتـاح أسـرار الـطـريـق وفـاتـح ... الأقـفـال عـن قـلـب الـمـريـد الـعـانـي
أعـنـي أبـا الـعـبـاس نـجـل الـشـمـس مَـنْ ... أنـواره سـطـعـت بـكـل مـكـان
مـن أمَّ حـضـرتـه الـكـريـمـة نـال مـا ... يـرجـوه فـي سـر وفـي إعـلان
فـاقـصـده فـيـمـا شـئـت مـن خـيـر تـجـد ... بـحـرًا يـفـي بـجـواهـرٍ وجـمـان
يـا راقـيًـا أوج الـكـمـال وسـامـيًـا ... رُتَـبًـا عـلـت قـدرا عـلـى كـيـوان
هُـنِّـيـتَ بـالـعـرس الـسـعـيـد ودامـت ... الأفـراح تـصـحـبـكـم بـكـل زمـان
وحـبـاك مـولانـا بـكـل فـضـيـلـة ... وأطـال عـمـرك فـي هـنـا وأمـان
ولـقـد أتـى تـاريـخُ ذا الـعـرس ... الـشـريـف بـنـعـتـه الـمـغـنـي عـن الـتـبـيـان
فـالـلـهَ أسـألـه لـكـم حـفـظـا وتـيـسـيـ ... را، وتـوفـيـقـا مـدى الأزمـان
بـالـمـصـطـفـى خـيـر الأنـام الـمـجـتـبـى ... والـصـحـب والأنـصـار والأعـوان
والآل والأزواج مـا قـال امـرؤ: ... رَبْـعُ الـسـرور مُـشَـيَّـدُ الأركـان

هـ[125]

5 - الشيخ أحمد الشمس وسلا

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وخاطب الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن الشمس جمعا من أعلام فاس وسلا بقوله:

سلا خَلَدي لما رأى أهله وفا س، نعم الزمان لي بما أرتجي وفا
صدور النوادي في البيوت وغيرها عليكم كمالُ صدْرِ مفردها اصطفا

والضمير في "أهله" يعود على سلا بمعنى البلد المعروف ففيه استخدام. وقوله: "عليكم كمال... الخ.." أشار به لقوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾. [النمل/ 59]، والمقصود منهما التحية بالسلام.

وأجيب بعدة أجوبة؛ منها قولي:

أيا مَنهلًا عذبًا لوارده صفا ومَن شِعرُهُ مثل الزلال على الصفا
ملكتَ مقاليد الكلام فما تركـ تَ غيرك فيها الآن أن يتصرفا
ولو لم يكن عندي دليلٌ لذا "سلا خلدي لما رأى أهله" كفى
سوى وذا غير محتاج إلى شاهد لأ نَّ تقريري المعلوم ضربٌ من الخفا
ومني على علياك أزكى تحية تحاكي نسيما هب في سَحَرٍ صفا

[126]هـ

6 - هدية للشيخ أحمد بن الشمس

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "وكتبت لتلميذ الشيخ ماء العينين الشيخ أحمد بن الشمس وقد أهديتُ له سراج الطرطوسي:

أبا العباس أحمدَ إنني قد أتيت غليكَ مهديَّ «السراجِ»
فجد بقبوله فضلا وسل لي إلاهي نيل ما في النفس راج

[127]هـ

7 - تقريظ "النفحات"

ولما طبع كتاب "النفحات الأحمدية في الأوقات المحمدية" للعارف العالم

أبي العباس الشيخ أحمد بن الشمس محمد الشنجيطي، وقرظه العلماء على اختلاف طبقاتهم، كتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني عليه نثرًا ونظمًا، فالنظم قوله رحمه الله:

كتاب على هام الكمال قد استوى ... ومِن منهل التحقيق حقا قد ارتوى
حوى كلَّ تحقيق يَعِزُّ مناله ... فلِلّه ما أبدى ولله ما حوى
جزى الله من أبداه خير جزائه ... وأولاه من إحسانه كل ما نوى

[128]هـ

8 - طال شوقي لمحياك

هاجر الشيخ أحمد بن الشمس إلى المدينة المنورة، وتأسف صديقه سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني على فراقه، فأنشد يقول:

طال شوقي لمحياك النفيسْ ... يا ابا العباس يا خير جليسْ
لستُ أنسى عهدكمْ كلا ولا ... أتسلى عن سناكمْ بأنيسْ
لم يزل فكري لكم مستحضرا ... وبحبي لكمُ فخرًا أميس
وبقلبي من بتاريخ الجوى ... لاعجٌ يربو على حَرِّ الوطيس
كل وقت وزفرتي تتوالى ... وخصوصا إن أتى يوم الخميس
فمتى يدنو اللقا يا أملي ... فاصطباري عنك [قد] كان يخيس

[129]هـ

الفصل التاسع

في المحبة والحكم

1 - رشف زلال المرام من كؤوس لذيذ الملام.

2 - تخميس.

3 - هات لي صدقة.

4 - قلبي لك من دون مشارك.

5 - فإن تسأليني.

6 - قد كنت أحسب أن الشمس واحدة.

7 - قال لي من شكوت حالي إليه.

8 - وعد الحبيب بوصله.

9 - رُبَّ مليحة جاءت بوصل.

10 - تمكنت من فؤادنا محبتكم.

11 - تجلى حبيبي.

12 - كتاب في سرائره سرور.

13 - يا من ترحل.

14 - وضح الحق.

15 - أهل الحديث.

16 - فخر.

17 - لم أجد للخلاص سبيلا.

18 - العيادة.

19 - لازم اتقاء الله.

20 - جدد وضوءك.

21 - النحاة.

22 - تعلم.

23 - استصف خلك.

24 - تواضع.

1 - رشف زلال المدام من كؤوس لذيذ الملام

سافر سيدي محمد بن جعفر الكتاني أخو سيدي عبد الرحمن الأكبر في أول حجة له سنة 1321هـ وصحب معه ابنه سيدي محمد الزمزمي وكذلك الفقيه الأديب النابغة مولاي محمد العلمي، المدعو عويدات لنحافة جسمه ورقة خصره وشدة لطافته وخفته، وكان كاتبا شاطرا خفيف الروح، كما كان صديقا مقربا لشاعرنا سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني. فكتب له بهذه المناسبة هذه الرسالة الشعرية قائلا: "الحمد لله وكتبت لصاحبنا سيدي محمد العلمي لما حج مع الأخ حفظهم الله، وسميتها "رشف زلال المدام من كؤوس لذيذ الملام":

سلام لا يماثله سلامُ ... لمن بفراقه حُرم المنامُ
أخي ومُؤَنِّسي وسرور قلبي ... وراحته إذا يعرو السقام
خليل ليس يشبهه خليل ... فلا يعرو محبته انفصام
عليٌّ قدره بين البرايا ... تقاصر عن أدانيه الغمام
له في العلم باع ليس يخفى ... وفي تقوى الإله له مقام
وذاك محمد العلَميُّ من قد ... غدا بالمكرمات له اهتمام
وبعد؛ فإنْ عن الأحوال تسأل ... فقد عَمَّتْ لنا نعمٌ عظام
وعافية الإلٰه لنا توافي ... جميعا كل وقت والسلام
سوى أنا قد اشتقنا علاكم ... ورؤية وجهكم ذاك المرام
ولو نعطى الخيار لما افترقنا ... ولكن لا خيار لنا يرام
لعل الله يجمعنا جميعا ... بطيبة ذلك البلد الحرام
بلاد لا يماثله بلاد ... بها هام الفؤاد المستهام
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من فيها أقاموا
هنيئا للذين أتوا إليها ... وصلوا في زواياها وصاموا
لقد حازوا فخارا لا يضاهى ... وفازوا أي فوز لا يسام
فنب عني، فديتُك، يا خليلي ... هناك بأدمع ولها انسجام
بِذُلٍّ وانكسارٍ عَلَّه لي ... يملَّى مِن شراب الأنس جامُ [131]
وعفر في ثراها الوجه واخضع ... لهيبة من له ذاك المقام
وسل لي كل خير من علاه ... ففي جذواه كل الخلق عاموا

وحاشى أن يغيب من انتحاه ... ومنه الجود أدركه الكرام
فلا تغفل خليلي عن سؤالي ... فحِبُّك ماله قط انصرام
ودادك داخلَ الأحشا مقيم ... ولكن لي عليك أخي ملام
وما قد كان ظنّي فيك هذا ... ولكنَّ الظنون لها انعدام
وكنت أظن أن جبال رضوى ... تزول وأن ودك مستدام
فبان الآن ليَ خلاف هذا ... ولاح لنا جهارا ما يلام
وكنت أردت غض الطرف لكن ... بعتْب الحب يزداد الغرام
فأحضر ذهنك الوقاد واسمع ... لما أملي إذا يُتلى الكلام
بيان اللوم أنك إنْ إلينا ... كتبتَ سلكتَ إجحافا يضام
فلا تحكي عجائبَ ما رأيتم ... ولانُكَتًا بها الأحبابُ هاموا
ولا من قد رأيتم أو رآكم ... من العلماء مَن لهم احترام
ولا من قد أجازك أو أجيزا ... ولا شيئا يتم به النظام
كأن الحبر والقرطاس عزا ... أو الأقلام ليس لها قوام
أو الدرهام معدوم لديكم ... أو الألفاظ عنك لها انبهام
وإن وجهتَ كُتْبًا للسوى لا ... يُرى في كَتْبِها قط انخرام
ويزدحم الكلام عليك حتى ... بذاك الرقّ ما حصل التمام
وتاتيك المعاني الغرُّ حتى ... يقول الناس: من هذا الهمام؟
لعَمْرِي إن في هذا دليلا ... على أنْ ليس عندك بي اهتمام
فتب لله من هذا سريعا ... فإن القلب زاد به الهيام
وليس له سلوٌّ عن سناكم ... وكيف وعندكم منه الزمام!
فإن الله يقبل من إليه ... أناب وعنه يُدرا الإنتقام
وسلمْ غاية التسليم مني ... على من لا يضاهيه إمام
إمام العصر حافظه الذي من ... عداه خَلْفُهُ وهُو الأمام
وحيد زمانه علما وزهدا ... ومن بمديحه فاه الأنام
محمد نجل جعفرٍ الذي ما ... غدا إلا به ليَ اعتصام [132]
وقبل كفه عني وسل لي ... مجاب دعائه حيث المقام
بتقوى الله في سرّ وجهر ... وبالحسنى يكون ليَ الختام

كذاك على ابنه ذي المجد من نا ... له منه الغوارب والسنام
وسله كيف لم يكتب كتابا ... يزال به عن الحال اللثام؟
كأنْ ما بيننا قط ارتباط ... ولا نسب ولا حب يدام
وإن يكُ قد عراه مع العراقي ... لترك جوابه فورا خصام
فما معنى انقطاع الكتب عنا ... فماذا فعل من بالحب قاموا!
ولو أني شرحت اللوم شرحا ... لفاق الطرس واتسع الكلام
وعبد المالك الأسمى عليه ... سلام الله يعقبه سلام
كذاك على محب دون لبس ... غدا في المتقين له انتظام
أخيَّ محمد اليمنيَّ مَن لي ... برؤية وجهه يُشفى الأوَام
كذاك على ابن شقرونٍ فسلم ... وحذره إذا حضر الطعام
فكم شخص ببطنته تردَّى ... وكم شخصٍ أتاه بها الحِمام
وسلّم غاية التسليم أيضا ... على من عندهم يُرعى الذمام
أخي عبد الكريم مع الغراري ... وأحمد اللنجريّ والسلام
محبك عابد الرحمن من ليـ ... ـس ينساكم ولو طال المقام
حباه الله فضلًا ليس يدرى ... له قط ابتداءٌ واختتام
بجاه المصطفى خير البرايا ... ومن بضيائه يُجْلى الظلام
صلاة الله تترى كل حين ... عليه وآله ثم السلام

[133هـ]

2 - تخميس

أتى سنة 1320هـ سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في كناشته بتخاميس متعددة للأبيات التالية، وهي تعزى للشيخ أبي مدين التلمساني رضي الله عنه:

فإن وجدي بكم جديد فالقرب للعاشقين عيد وقلّبوه كما تريدوا علي زيدوا البعاد زيدوا

عيدوا إليَّ الوصال عيدوا ... فإن وجدي بكم جديد
وقربوا الوصل والتداني ... فالقرب للعاشقين عيد
خذوا فؤادي وفتشوه ... وقلبوه كما تريدوا

فـإن وجـدتـم فـيـه سـواكـم عـلـي زيـدوا الـبـعـاد زيـدوا

وقال : "الحمد لله للشيخ سيدي الحاج المصري مخمسًا (وجاء بالتخميس) وللوزير ابن إدريس رحمه الله مخمسًا أيضا (وجاء بتخميس) وللعلامة القاضي سيدي عبد الهادي الصقلي رحمه الله تعالى (وجاء بتخميسه) ولأخينا الفقيه الأريب الدراكة الأديب الشيخ عبد العزيز حفظه الله بمنه (ولم يأت بتخميسه)، ولكاتبه العبد الفقير الجاني عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، عُفي عنه:

شـوقـي إلـى حُـسـنـكـم شـديـدُ وحـبـكـم فـي الـحـشـا قـعـيـد
بـحـق مـن اسـمـه أحـيـد عـيـدوا إلـيّ الـوصـال عـيـدوا
فـإن وجـدي بـكـم جـديـد

وأتـحـفـوا الـصـب بـالأمـانـي دون تـراخ ولا تـوان
فـحـر ذا الـهـجـر قـد كـوانـي وقـربـوا الـوصـل والـتـدانـي
فـالـقـرب لـلـعـاشـقـيـن عـيـد

فـكـل حـسـن مـلـكـتـمـوه لـذاك قـلـبـي سـكـنـتـمـوه
والـقـول إن لـم تـصـدقـوه خـذوا فـؤادي وفـتـشـوه
وقـلـبـوه كـمـا تـريـدوا

والـلـه مـا مـال عـن هـواكـم ولـم يـزل حـامـيـا حـمـاكـم
يـنـتـظـر الـوصـل مـن عـلاكـم فـإن وجـدتـم فـيـه سـواكـم
عـلـي زيـدوا الـبـعـاد زيـدوا

[134]هـ

3 - هات لي صدقة

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ولم يذكر مناسبة قوله:

قـلـت لـحـبـي هـات لـي صـدقـة تـصـلـح مـا فَـعَـلَـتِ الـحـدقـة
إن نـصـاب الـحـسـن فـيـك انـتـهـى كـمـا انـثـنـى طـرفـيَ إذ حـدقـه
فـقـال لـي: تـنـال مـا تـبـتـغـي فـحـالـكـم فـي الـحـب مـا أصْـدَقَـهْ
فـقـلـت لـمـا طـالـمـا مـاطـلا ومـا وفـى وعـدي ولا صـدقـة

بربك الوهاب كن واصلا ... ولا تك العائد في صدقه
قال النبي كالكلب في قيئه ... يعود من قد عاد في الصدقة

هـ[135]

4 - قلبي لك من دون مشارك

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني دون ذكر المناسبة:

بالذي أفرد قلبي ... لك من دون مشارك
والذي أولاك حسنا ... قصرت عنه المدارك
وبما في الخد من وَرْ ... دٍ ومن آسٍ عذارك
وبما في اللحظ من سحـ ... ـر وما بي من نفارك
وبإعراضك عني ... مهجتي مولاي دارك [136]

هـ[136]

5 - فإن تسأليني

قرأ سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني هذين البيتين لبعض الأدباء:

فإن تسأليني: كيف أنتَ، فإنني ... جليد على ريب الزمان صليب
جهيد على أن لا تُرى بي كآبة ... فَيَشْمَتَ واشي أو يُساء حبيب

فشعر بنفس شعور الأديب وشطر البيتين قائلا:

فإن تسأليني: كيف أنتَ، فإنني ... مقيم على ودي عساكِ تجيب
وإني وإن ذاب الفؤاد صبابة ... جليدٌ على ريب الزمان صليب
جهيد على أن لا تُرى بي كآبة ... وإن كنتُ مالي في السلو نصيب
فصوني فؤادي الصَّبَّ قبل فنائه ... فيشمت واشي أو يساء حبيب

هـ[137]

6 - قد كنت أحسب أن الشمس واحدة

أطلع السيد عبد الله القباج سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني تشطيره

لهذين البيتين:

قد كنت أحسب أن الشمس واحدة حتى رأيت لها أختا من البشر
كأنها هي إلا أن يُفَضِّلَها حُسْنُ الدَلال وطرْفٌ فاتر النظر

قال سيدي عبد الرحمن: "ولكاتبه - أيضا - مشطِّرا هذين البيتين لما أطلعني بعض الأصحاب على تشطير له فلم أرتضه:

قد كنت أحسب أن الشمس واحدة قبل التَقَحُّم في بحر الهوى الخطرِ
فلم يزل ناظري يروم سفك دمي حتى رأيت لها أختا من البشر
كأنها هي إلا أن يفضلها سلامةٌ من كسوف الشمس والقمر
وكونُها أبدا ليست تغيب، كذا حسن الدلال وطرف فاتر النظر

هـ[138]

7 - قال لي من شكوت حالي إليه

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني دون أن يحدد المناسبة:

قال لي من شكوت حالي إليه عندما ساعد الحبيبُ بلحظه
شدةُ القُرب من عظيم علاه مَنَعَ الطرْفَ منك والله لحظه
وانظر الطرف لا يرى الجفن منه وعليه استدار يأمل حفظه

هـ[139]

8 - وعد الحبيب بوصله

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني دون أن يذكر المناسبة:

وَعَدَ الحبيبُ بوَصْلِهِ لما رءا ني عن غرام جماله لا أنتفي
ثم استشار وقال لي: ما الرأي عنـ ـدك قلت: عندي أن تفي[1] لا أن تفي[2]
ولئن تباعدت الجسوم ولم تجُد بالوصل لي يا سيدي فلأنت في

(1) أي: بالوعد.
(2) أي: ترجع.

هـ[140]

9 - رب مليحة جاءت بوصل

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني دون أن يذكر المناسبة:

وَرُبَّ مـلـيـحـةٍ جـاءت بـوصـلٍ ولـيـلـي مـن مـحـيـاهـا أضـاء
وعـنـد الـصـبـح قـامـت ثـم قـالـت: خـيـار الـنـاس أحـسـنـهـم قـضـاء

هـ[141]

10 - تمكنت من فؤادنا محبتكم

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني : وقلت مخاطبا بعض الأصحاب وقد زرته في منزله:

تـمـكـنـتْ فـي فـؤادنـا مـحـبـتُـكُـمْ فـلا نُـطِـيـقُ سـلـوًّا عـن زيـارتـكـم
فـلـتـقـبـلـونـا عـلـى مـا كـان من عِـوَجٍ فـيـنـا فـإن الـقـبـول مـن عـوائـدكـم

هـ[142]

11 - تجلى حبيبي

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني متفائلا دون أن يذكر المناسبة:

تـجـلَّـى حـبـيـبـي فـي مـرائـي شـهـوده فـأفـنـى فـنـائـي فـي بـقـاء وجـوده
ومـكـنـنـي مـن قـربـه وشـهـوده وحُـق لـمـن يـفـنـى دوام شـهـوده

هـ[143]

12 - كتاب في سرائره سرور

وكتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في رسالة لصديق يشكره على جوابه:

كـتـابٌ فـي سـرائِـرِهِ سـرورٌ مـنـاجـيـه مـن الأحـزان نـاجـي
كـراح فـي زجـاج بـل كـروح سرى في جسم معتدل المزاج [144]

[144]هـ

13 - يا من تَرَحَّلَ

كتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني من فاس إلى المدينة المنورة رسالة لأخيه سيدي محمد سنة 1329هـ قال فيها: "سيدي بأي لسان أخاطب حضرتك، وبأي وصف أصف خلالك الكريمة، وطلعتك بوحي الوداد المحكم، إني لازلت كما تعلم:

أبـدًا تـحـن إلـيـكـمُ الأرواحُ   وَوِصـالُـكـم ريـحـانـهـا والـراح

واستهل هذه الرسالة بعد البسملة والتصلية بقوله:

يـا مـن تـرحـل فـالـنـسـيـم لأجـلـه   يـشـتـاق إن هـبَّ شـذا ريـاهـا
تـحـيـا الـنـفـوس إذا بـعـثـت رسـالـة   فـإذا كـتـبـت اقـرأ: ومـن أحـيـاهـا

[145]هـ

14 - وضـح الـحـق

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "الحمد لله، قال الأخفش: سمعت أبا العباس المبرد يقول: إن الذي يغلظ ثم يرجع لا يعد ذلك خطأ، لأنه قد خرج منه برجوعه عنه، وإنما المخطئ البين الذي يصر على خطئه ولا يرجع عنه، ذلك يعد كذابًا ملعونًا. نقله السيوطي في "المزهر". وقد أنشدني صاحبنا ومحبنا الفقيه الأديب سيدي أحمد بن الشمس، خليفة الشيخ ماء العينين يوم الثلاثاء 20 محرم عام 1320هـ بمدينة فاس، أبياتًا للفقيه العلامة سيدي مُحَنَّضْ بابه الديماني، صاحب شرح "المختصر" المسمى ب "الميسّر" وغيره من التآليف:

وضـح الـحـق يـا لـبـيـب فـسـلّـم   إن تـسـلـيـم الـحـق فـيـه سـلامـة
لـيـس مـن أخـطـأ الـصـواب بـمـخـط   إن يـؤب، لا ولا عـلـيـه عـلامـة
إنـمـا الـمـخـطـئ الـمـسـي: مـن إذا مـا   وضـح الـحـق لـج يـحـمـي كـلامـه
حـسـنـات الـرجـوع تـذهـب عـنـه   سـيـئـات الـخـطـا وتـنـفـي الـمـلامـة

وقد شطرتها فقلت:

وضح الحق يا لبيب فسلمـ ـه ولا تبتدع ولو بقُلامة
واتركنَّ المراء تسلم يقينا إن تسليم الحق فيه سلامة
ليس من أخطأ الصواب بمخط كلما بالهدى أنار ظلامه
لا ولا في الخطا عليه ذنوب أن يؤب، لا ولا عليه ملامة
إنما المخطئ المسيء من إذا ما ظهر الحق ناشرا أعلامه
صد عنه لكبره، وإذا ما وضح الحق لج يحمي كلامه
حسنات الرجوع تذهب عنه كل سوء ومحنة وظلامة
وترد الشقاء فورًا وتمحو سيئات الخطا وتنفي الملامة

هـ[146]

15 - أهل الحديث

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني في مدح أهل الحديث :

أهل الحديث لهم على كل الورى فضل يصيِّرُ من يسابقهم ورا
قد خصهم بدعائه لهمُ بحسـ ـن وجوههم وبرحمة خير الورى
وكفاهمُ شرفا وفضلا كونهم خلفاءه عند المدائن والقرى

هـ[147]

16 - فخر

سمع سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني قائلا يقول : "من دار النبي تعمرت كل زاوية، ومن نوره جميع الأنوار" فقال :

وكم من جليل رام أخذي لورده وظنَّ صفاتي من حُلى الفضلِ عارية
فقلت له: عرّجْ بنا؛ تنلِ المنى فمِن دارنا قد عُمِّرَتْ كل زاوية

هـ[148]

17 - لم أجد للخلاص سبيلا

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني دون أن يذكر المناسبة:

رُب شـــخـــص يـــروم نـــيـــل ودادي وفـؤادي عـلـى الـمـدى مـنـه نـافـر
لـم أجـد لـلـخـلاص مـنـه سـبـيـلا فـتـمـنـيـت أن راه مـسـافـر

[149هـ]

18 - العيادة

وقال سيدي عبد الرحمن الكتاني دون أن يذكر المناسبة:

لـقـد شـرع الـرسـول لـنـا الـعـيـادة فـكـانـت لـلـورى نِـعْـمَ الـعـبـادة
فـعُـدْ أهـل الـصـفـا والـفـضـل أمـا إذا احـتـجـب الـمـريـض فـلا عـيـادة!

[150هـ]

19 - لازم اتقاء الله

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني واعظًا:

لازم، هُـدِيـتَ، انـقـاءَ الـلـه جـل عُـلًا ولا تُـصِـخ لـعـذول فـيـه أو زارِ
فعن قريب يجازى المحسنون بإحـ ـسان وبـالـنـار مـن وافـى بـأوزار

[151هـ]

20 - جدد وضوءك

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ناصحًا:

جـــددْ وضـــوءك كـــلـــمـــا أحـــدثـــت واركـــع ركـــعـــتـــيـــن
وادع الإلٰـــه بـــمـــا تـــريـــ ـــد تـــنـــل مـــرادك دون مـــيـــن

[152هـ]

21 - النحاة

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ناصحًا أهل النحو:

أيـا نـحـاة الـورى كـفـوا عـن الـزلـلْ وراقـبـوا الله فـي قـول وفـي عـمـلْ

ولتعلموا أنه لا شخصَ ينفعه إعرابه القول وهو لاحن العمل

هـ[153]

22 - تعلم

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ناصحا:

تعلم واتّق الرحمٰن سرًّا وجهرًا كي على الشيطان تقوى
فما ضم الشريف إليه خيرًا من العلم المضاف إليه تقوى

هـ[154]

23 - استصف خلك

وكتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني لابن أخيه سيدي محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني من فاس إلى المدينة المنورة بتاريخ 20 شوال عام 1331هـ فافتتح الرسالة ناصحا:

استصف خِلَّكَ واستخلصْهُ أهونُ مِن تبديلِ خِلٍّ، فكيف الأمن بالبدل؟!
فأعجزُ الناس: حُرٌّ ضاع مِن يده صديق وُدٍّ، فلم يردده بالحيَل

هـ[155]

24 - تواضع

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "لكاتبه عفي عنه:

ومن سَرَّهُ أن يقدُرَ الناسُ قدرَه فقد سَرَّني أن لستُ في الناس ذا قدرِ

هـ[156]



الفصل العاشر

متنوعات

1 - مدح في سيدي علي بوغالب.

2 - رسالة شعرية إلى الشيخ جمال الدين القاسمي.

3 - جواب للقاسمي.

4 - دفاع عن الخطيب.

5 - تهنئة بتأليف كتاب.

6 - المسطرة.

7 - الابتهاج على نور السراج.

8 - دعاء.

9 - الشعراء.

10 - إبراهيم.

11 - استجازة الكتاني.

12 - استجازة دِينْيَة.

13 - تقريظ "مناهج الخلاص".

14 - الفأر.

15 - لغز عثمان.

16 - لغز أبي العباس الهلالي.

17 - لغز الإمام.

18 - لغز الشفع.

19 - لغز الهالكة.

20 - عزاء.

21 - الهموم [157].

1 - مدح في سيدي علي بو غالب

مرض سيدي عبد العزيز بن جعفر الكتاني بداء السل الذي أودى بحياته في الساعة الواحدة من ليلة الثلاثاء ثالث ربيع النبوي عام 1325هـ عن ثلاثين سنة رحمه الله، فطلب منه أن يكتب قصيدة في مدح الولي العالم سيدي علي بوغالب تيمنًا به وطلبًا من الله عزّ وجلّ أن يعجل بشفائه. قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "وليّ في مدح الوليّ الصالح الذي عمّ نفعه واشتهرت كراماته مولانا علي بوغالب، رضي الله عنه، أنشأتها على لسان أخينا الشريف العلامة النحرير مولانا عبد العزيز الكتاني، حفظه الله، عند حدوث مرض به:

بشَّرتْني ببلوغ الأملْ	وشفائي من جميع العللْ
وجهتي بالقلب والقالَبِ في	دفعِ ما بي من عظيم الخلل
نحو باب وَضَحَتْ أنواره	وبدت أسراره في المِلل
بابِ طِبِّ القلب والروح أبي	غالبٍ سيدنا المولى علي
معدن الإحسان والعرفان والمدد	الوافر والقدر العلي
منية الراغب مولي القصد ذي	الكرم الباهر والفخر الجلي
عن عُلاه فلتخبِّر بالذي	شئته لا تختشي من عَذَل
فهْو بحر الفضل والجود وبدر	الهدى ينفي وقوع الزلل
وهْو سرّ الله في دفع الذي	خفتُه من ضرر عن عجل
لا يَخِيبُ المجتبى والملتجي	بفناه عند خطبٍ جلل
فأنخ رحلك في أبوابه	وادعُ لله به ثم سل
فَلَكَمْ أعجز أهل الطب مِن	ألم داواه مولانا علي
كم أتى نحو حماه مُزْمِنٌ	عندما ظن بلوغ الأجل
وبه ألقى العصا يرجو الشفا	فكساه منه أسمى الحلل
كم مريض مستغيث باسمه	من بعيد فارتدى بالأمل
فهو للأمراض ترياق حلا	مثل ما يحلو شراب العسل
نفعهُ صار ضروريا لدى	كل ذي عقل خلا من خلل
فلهذا دائما حف به	كل ذي ضر عظيم الوجل[158]
بخضوع وانكسار قائلا	مَدَدَ الله أمولاي علي

فبنفس القول يأتيه الشفا مسرعًا من ذي الجلال الأزلي
يا ملاذي يا عمادي يا أبا غالب يا خير قطب وولي
إنه قد عيل صبري ووهت مني القوى وبارت حِيَلِي
فقرعت الباب بالمدح وقد عمني منك عظيم الخجل
لقصوري وانشغالي بالذي ألزم القلب حصول الملل
فأغثني بالدوا فورًا وجُد بالمنى في الحال والمقتبل
فالندى شيمَتُكُم بل جودكم ماله في قطرنا من مثل
بسليل المصطفى بحر الصفا معدن الجود الإمام البطل
قطبنا مولاي إدريس وآ بائه الغر العظام النحل
سيما فاطمة الزهرا كذا بعلها ذو الفخر مولانا علي
وبسر السرّ كل الكل من ليس يدري كنهه غير العلي
صل يا ربّ عليه وعلى آله والصحب أهل العمل
وسلام يتوالى نوره آخر الدهر كما في الأول

[159]هـ

2 - رسالة شعرية إلى القاسمي

كانت لسيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مراسلات مع أدباء عصره منهم الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي. قال سيدي عبد الرحمن: "الحمد لله، وقلت الأبيات السريعة التالية كتبت بها إلى الشيخ جمال الدين الدمشقي:

أخرَجَ أحمدٌ بلا اشتباهِ في ذاك عن بكرِ بنِ عبدِ اللهِ
أن سلَيمان نبيَّ الله سأله والده ذو الجاه
عن أي شيء أبردٍ وأحلى وأقربٍ وأبعدٍ أقلًا
وأي شيء أكثرٍ وآنسِ وأي شيء أوحشٍ للأنسي
فقال في الجواب عن أحلاها روح الإلاه في الورى أجلاها
أبردها عفو الإلٰه عن عبا ده وعفو بعضنا بعضا حبا
آنسها الروح تحل في الجسد أوحشها الجسد إن لها فقدَ
أقلها اليقين من دون مرا أكثرها الشكّ وما فيه امترا

أقـربـهـا آخـرة، أبـعـدُهـا ... دنـيـا مـن الأخـرى ثـمـان عـدهـا
أورده الـحـافـظ ذو الـتـمـكـيـن ... شـيـخ الـمـشـايـخ جـلال الـديـن
فـي دره الـمـنـثـور عـنـد ذكـره ... "وكـلا آتـيـنـا" فـحـد عـن نـكـره

فأجاب القاسمي بعد الافتتاح بما نصه: "تناولت بيد التكريم كتابكم الكريم، في أيمن ساعة وأحلاها، وأعز فرصة وأغلاها، ورد علي ورود الحبيب، على حين غاب الرقيب، وطلع علي طلوع العافية، على من طال ضناه حتى نال أمانيه، فأهلًا به وافد مشرق، يخطب للمغرب المشرق، لا بل يجذب الأرواح، إلى تلك البطاح، ويملك بلطفه الألباب، إلى مخيم ذلك الجناب. ماذا أقول في نعمته، وبأي لسان أترجم عن بديع سمته. لعمر الحق إن اللسان كليل، دع عنك إن الفكر عليل، فلو أمطرتنا البلاغة بالطل والوابل، وهبطت علينا الفصاحة من روح سحبان وائل، لما كنا إلا في دائرة القصور، عن محاكاة غرر تلك القصور، سيما تلك الأبيات الأبيّات، والمنظومات النظيمات، التي رام اليراع أن يحاكيها، فأشفق أن يفوته الشنب، إلى أن أيقن أن جهد المقل محفوف بأجنحة القبول عند أولي الأدب، فقال: [160]

يـا مـن سـمـا فـي الـعـلـم أمـثـالَـهُ ... وفـاق فـي الآداب أشـكـالـهُ
وبـرهـنَـتْ آثـاره عـنـدنـا ... أن لُـبـاب الـفـضـل مـا نـالـه
مـا فـوق ضـوء الـصـبـح مـن حـجـة ... إلا لأعـشـى لا يـرى حـالـه
هـنـأتـنـا بـنـظـم درّ جـلا ... مِـنْ كـرم الـسـيـد أفـضـالَـه
فـهـزنـا شـوقـا لآدابـه ... وإن حـكـى بـالـروح تـمـثـالـه
فـكـم تـنـاجـي الـروحُ روحًـا كـمـا ... يـمـثِّـل الـقـائـل مـا قـالـه
حـيـاك ربـي مـن أخ صـادق ... تـؤيـد الأفـعـالُ أقـوالـه
كـذا يـنـال الـفـضـل بـيـن الـمـلا ... مـن رافـق الـتـوفـيـقُ أعـمـالـه
وهـل يـجـوز الـقـدرَ إلا فـتـى ... يـهـتـم لـلـمـجـد ويـسـعـى لـه
يـصـابـر الـدهـرَ ويـطـوي بـه ... رواحـلَ الـعـزم وتـرحـالـه
والـجِـدُّ دَيَّـانٌ لأربـابـه ... يـكـتـال لـلـمـرء بـمـا كـالـه
فـحـبـذا مـن كـان ذا هـمـة ... يـرصـد لـلـعـرفـان أكـمـالـه

هـ[161]

3 - جواب القاسمي

لما وصل الكتاب السابق من الشيخ القاسمي لسيدي عبد الرحمن، قال: "وأجبته عنه بكتاب منه قولي: ولما ثمل الفكر من صرف وصيفه، وطرب بما يشاهده فيه من جليل الحسن ودقيقه، أنشد قائلًا، وإن كان في درجة القصور مقيمًا وقائلًا:

أهـذه دررٌ فـي الـنـحـرِ مُـشْـرقـةٌ ... أم الـدراري لـدى الـعـلـيـاء مُـشـرقـةٌ
أم تلك شمس الضحى قد زاد رونقها ... أم تـلـك لـيـلـى عـلـى الـعـشـاق مـشـرفـة
تـرنـو إلـيـهـم بـألـحـاظ وتـمـنـعـهـم ... بـالـوصـل وهْـي مـن الـواشـيـن مـشـفـقـة
أم ذاك روض بـه الأزهـار بـاسـمـة ... قـد جـاده الـغـيـث والأشـجـار مـورقـة؟!
لا بـل كـتـاب بـه الآداب قـد جـمـعـت ... فـغـيـره نـكـراتٌ وهْـو مـعـرفـة
قد أشرقت شمسه على المغارب من ... شـرْقٍ كـشـمـس تَـبَـدَّتْ وهْـي بـارقـة
لـكـنـهـا إذ رأت أنـوارهـا خـجـلـت ... وبـان لـي أنـهـا مـن ذاك فـارقـة
خافت على عيشها من ذاك فاستترتْ ... وأرسـلـت أدمـعـا كـأنـهـا رِقَـةٌ
وكـيـف لا والـذي أبـدى مـحـاسـنـه ... صـلاه عـنـد ذوي الآداب نـافـعـة
ذاك الإمـام الـجـمـال الـقـاسـمـي الـذي ... أوصـافـه عـنـد ذي الإنـصـاف فـائـقـة؟
أبـقـاه مـولاه مـحـفـوظًـا ودام كـمـا ... لـه بـه ألـسـن الـمـداح نـاطـقـة

[162]هـ

4 - دفاع عن الخطيب

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "وقلت مخاطبًا مدير بعض الجرائد حيث شنع على من خطب بالتحذير من موالاة الكفار، ومجانبتهم، ومباعدتهم في السكنى، وبتحريم دخول المدارس التي أحدثوها لقراءة علومهم ما نصه:

بـيـس الـذي قـلـتَ فـي ... شـأن الـخـطـيـبِ، وُقـي ضـيـرا
ولـنـعـم مـا قـد قـالـه ... فـجـزاه رب الـعـرش خـيـرا
لـكـن تـحـكـم فـيـك حـب ... الـكـفـر لـمـا كـنـت عـيْـرا

فرتعتَ في وادي الضلا ... ل، وسرتَ يا ذا اللؤم سيرا
وحسبتَ أنك صادعٌ ... بنصيحة وأتيت غيرا
فاستغفرنْ مما جنيتَ ... الغافرَ الغفارَ غيرا
واضرع إليه بتوبة ... لا تتركنَّ النفس حيرى
هذي نصيحة كل ذي ... نفس على الإسلام غيرى
فلئن قبلتَ نصيحتي ... فورا وقلت: نعم وَجَيْرا
فلقد رشدتَ لدى الحيا ... ة ونلتَ عند الختم خيرا

[163هـ]

5 - تهنئة بتأليف كتاب

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني مهنئًا أحد الأفراد بالانتهاء من تأليف كتاب له:

يا أيها البحر الذي ما له ... في عصره مشابهٌ حاله
شرفتنا بذا الكتاب الذي ... ما أحد أحكم منواله
فلو أبو القاسم[1] أبصره ... لهام وجدا به بل هاله
لازالتَ تهدي من يراعكمْ ... ما فاق ياقوتا وأشكاله
ولا برحتَ في سماء العلا ... بدرًا منيرًا لا نظير له
لك الهنا بالعيد، بل مثلُكم ... به الهناء العيدُ قد ناله
فاسلم ودم في نعمة وسنا ... مع سناء نلت إكماله

[164هـ]

6 - المسطرة

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وواعدني بعض الأصحاب بإرسال مسطرة مع كتاب، فأرسل الكتاب دون المسطرة، فكتبت له:

(1) يعني: أبو القاسم الحريري.

يا أيها الخِل الذي أوصافُهُ عند الأحبةِ في القلوب مُسَطَّرة
هلا وفيت لنا بوعد سابق هذا الكتاب فأين أين المسطرة؟!
وعليكمُ مني سلام عاطر بعبيره كل البقاع معطرة

[165]هـ

7 - الابتهاج على نور السراج

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "وكتبت إلى الشريف الفقيه العلامة الأديب مولاي أحمد بن المامون البلغيثي أطلب منه نسخة من شرحه لمنظومة المسّاري في آداب طالب العلم المسمى بـ "الابتهاج على نور السراج" :

أيا مولاي أحمدَ؛ جئتُ أسعى لبابك كي تجود بالابتهاجِ
ففكري بالجهالة ذو ظلام وعندك سيدي نورُ السراج
محبك عابد الرحمٰن من لم يزل للعفو من مولاه راج

[166]هـ

8 - دعـــاء

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني داعيًا، وقد اشتكى من شدة برد فاس في الشتاء وشدة حرارتها في الصيف:

رَبِّ قني أليم هذا البرد ونجِّني مِ كل شيء يُردي
وهبْ ليَ الحرَّ إذا البردُ أتى وهب ليَ البردَ إذا الحرُّ عتا
ولتكفني ضرهما جميعا ووالني خيرهما سريعا
واشف الذي استقر بي من المرضْ ووالني يا ربنا كل الغرضْ
بجاه خير الأنبياء أحمدا صلِّ عليه معْ سلام أبدا

[167]هـ

9 - الشعراء

قال سيدي عبد الرحمٰن بن جعفر الكتاني مدافعا عن الشعراء: الحمد لله؛

وقلت هذه الأبيات على شبه الارتجال سنح بها الخاطر في الحال:

وا رحمةً للسادة الشعراءِ ... ما ذا يلاقي شِعْرُهُم من داءِ
قد صار يسرقه الجهول ويدعي ... ويقول: إني أشعر الشعراء
والنحوُ لا يدريه ثمتَ إن غدا ... متكلِّمًا تَرَهُ بلحنٍ جاءِ
وإذا تقول له: انكفف عن ذا ... يقول لمن رأى هذا: من الجهلاء
مني السلام على القريض وأهله ... حيث ادعاه ابن اللبون النائي
أوَ ما درى أن القريض على الأنا ... م محرَّم إلا على الأدباء
العاريين بكل معنى جيد ... بيَد ووجه مليحة وسناء
لا يسرقون الشعر من ورق ولا ... ترضى نفوسهمُ بهذا الداء
تبا له ولشعره ولما ادعى ... ولما به يأتي من الأشياء
فالله يهديه ويصلح باله ... إن تاب للرحمن دون مراء

هـ[168]

10 - إبراهيم

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "الحمد لله في "إبراهيم" سبع لغات نظمتها بقولي:

ولغاتُ إبراهيم دونَك عدُّها ... تثليثُ هاء، واقصُرَنْ، أو مُدَّها
ويقال: أبْرَهَمُّ بلا ألف بُعَيْد الرا، ... وفتح الهاء، سبْعا عَدُّها

هـ[169]

11 - استجازة الكتاني

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: ولكاتبه طالبًا إجازة من الفقيه القاضي أبي محمد عبد الله ابن خضراء السلاوي:

حمدا لمن يجيزُ مَ قصَدَهْ ... بنيانه على التقى شيدَه
سبحانه رفع قدر الذي ... بالعلم والإخلاص قد عبده
ولم يزل برًّا حفيًّا به ... ينيله مما رجى مقصده

ثم صلاة الله يعقبها — من السلام كله أرشده

على النبيِّ المصطفى من به — كل كمال ربنا أوجدهْ

وآله وصحبه الفضلا — وتابع رخصا وما شددهْ

ما قد أجيز طالب بالذي — عن الثقات الشيخ قد أسنده

وبعد فالإسناد أولى الذي — به اعتنى مَنْ رَبُّه سدَّده

لكونه من دين خير الورى — وهْو عماد للذي أوجده

خص به ربّ الورى أمة — المختار من بذكره أيده

لذاك أمَّ بحره الفضلا — وكم كبير قدرُه وَرَدَه

وأنفق العاقل في دركه — درهمه المنقوش بل عسجده

وقد أثبت طالب الإذن في — إسناد ما قد أوضحوا سنده

من عالم العصر ومصباحه — من حاز فضلا طالما نضَّده

قاضي الجماعة بفاسٍ الذي — بيتَ العلا بِرَبْعِها شيده

كم حاز من فخر ومن رفعة — ومن سنا ليل الردى شرده

أعني الإمام عابد الله مَن — إلى سلا نَسَبُه أورده

لازال محفوظًا معافى من الأسقام — موقى شر من حسده

في الدين والدنيا وقّي أهله — وفي الأحبة ومن ولده

فمُنَّ بالمطلوب يا أيّها المالك — من كل هدي أسعده

واذكر أسانيدك في كل ما — رويتَ يا ذا الفكرة المفرَدة

وعيِّن الوقت لنا إن تكن — مسلسلاتٌ عندكم مسندة

أبقاكمُ الله ملاذًا لنا — وبكمُ دينَ الهدى جدده[170]

مني على علياكمُ كلما — ليلَ الهوى صبحُ الهدى طرده

أزكى سلام عاطر نَشْرُه — لا يستطيعُ أحد عدده

هـ[171]

12 - استجازة دينية

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "ولكاتبه على لسان صاحبه الفقيه الطالب سيدي عبد الرزاق ابن البركة سيدي عمر دينية الرباطي، حفظه الله بمنّه،

يستدعي الإجازة من سيدنا الوالد:

أيـا مـولاي؛ جـئـتُ أسـعـى ... لـبـابِـك طـالـبـا مـنـك الإجـازة
فـمُـنَّ بـهـا ولا تُـمْـطِـل، فـإنـي ... عـزمـتُ عـلـى الـتـرَحُّـل والإجـازة

هـ[172]

13 - تقريظ "مناهج الخلاص"

وقال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني سنة 1326هـ مقرظًا كتاب "مناهج الخلاص من كلمة الإخلاص" للإمام أبي الحسن علي بن مسعود اليوسي نثرًا ونظمًا، والنظم قوله رحمه الله من بحر الخفيف:

مـبـتـغـي الـفـوزَ حـيـنَ غـيـرَ مَـنـاص ... دمُ عـلـى ذكـر كِـلْـمـة الإخـلاص
فـهْـيَ حِـصْـنٌ ومـلـجـأ لـلـبـرايـا ... فـاز مَـنْ حَـلَّـهُ بـنـيـل الـخـلاص
واسـتـنـار الـفـؤادُ مـنـه بـأنـوا ... رِ بـهـا يـنـتـفـي ظلام الـمـعـاصـي
فـاجـتـلـى قـهـوة الـمـعـارف مـنـهـا ... بـسـنـا فـكـر عـارف غـواص
فـاسـتـبـانـت مـنـه مـعـالـم أسـرا ... رِ لـهـا قـبـل ذا عـلـيـه تـعـاصـي
فـامـتـطـى صـهـوة الـكـمـال إلـى أن ... حـصَّـل أعـلـى مقام أهـل اختـصـاص
نـاظـرا أن مَـن سـواه تـعـالـى ... عَـدَمٌ طـولَ دهـره فـي انـتـقـاص
وهْـو لا غـيـر ذو الـوجـود فـطـلٌّ ... مِـن نـدى وَبْـلِ جـوده ذو امـتـصـاص
هـكـذا هـكـذا تـكـون الـمـعـالـي ... فـالـتـزم ذكـرهـا بـدون مـحـاص
وإذا كـنـت قـاصـرًا عـن مـداهـا ... فـلـتـسـامـر مـنـاهـجـا لـلـخـلاص
سِـفْـرُ عـلـم أبـاهـا قـد حـوتـه ... مـن مـعـان فـمـا بـه مـن خـصـاص
لـلإمـام لـه الـمـعـارف تُـنْـمَـى ... إذ أطـاعـتـه وهْـي ذات اعـتـيـاص
يـكـشـف الـلـبـس عـن عـويـصٍ إذا مـا ... وقـع الـنـاسُ مـنـه فـي حـاص بـاصِ
ذاك ذو الـفـضـل سـيـدي الـحـسـن الـيـو ... سـيَّ مـن خـص بـإسـنـاد الـوبـاص
نـصـر الله مـن كـسـى حـلـة ... الـطـبـع بـعـد عـزة ومـنـاص
ذاك سـلـطـانـنـا إمـام الـمـعـالـي ... مَـن تـغـذى مـنـهـا بـخـيـر مـجـاص
وأتـت نـحـوه الـخـلافـة تـنـقـا ... د كـمـا شـاده بـدون انـحـيـاص
هـو مـن دان كـل غـال لـعـلـيـا ... ه كـمـا انـقـاد طـائـعـا كـل عـاص

هــو فــخــر الــمــلــوك ســيــدنــا عــبــد الــحــفــيــظ الــذي لــه الــمــجــد قــاص[1]
مــعــدن الــعــلــم والــجــلالــة والــعــز فــمــا عــنــده امــرؤ مــتــعــاصــي
دام يــحــمــي شــريــعــة الــمــصــطــفــى مَــن كــل مــا شــاء بــالــقــنــا والــرصــاص
وصــلاة مــع الــســلام عــلــيــه ما انتهى مقصد بحسن خلاص[173]

14 - الفــــأر

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "الحمد لله، بينما نحن بالدار العلية ليلة عيد المولد عام 1322هـ وثب فأر من ناحية الفقيه الزريعي، فتعجب الحاضرون من وجود الفأر هناك، فأنشدت عند ذلك:

جــرى فــارٌ لــدى الــدارِ الــرفــيــعــة حــذارا أن تُــسَــدَّ بــه الــذريــعــة
فــقــلــت لــمــن تــعــجَّــبَ مــنــه: دعــه فــعــادتُــه مــلازمــةُ الــزريــعــة

ولما ذكرتُ ذلك لصاحبنا ومحبنا العلامة الأديب الصوفي أبي محمد سيدي عبد الله ابن الأديب، خليفة شيخنا دام علاه بمراكش الحمراء، ذيلها ببيت وهو:

فــمــنــهــا مــا يــوافــقــه غــذاء ومــنــهــا مــا يــوافــقــه شــريــعــة

هـ[174]

15 - لغز عثمان

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ملغزًا عن اسم عثمان: "الحمد لله، لكاتبه مخاطبًا لبعض المكيين القادمين على حضرة فاس:

أنْــعِــمْ صــبــاحــا يــا أديــب الــزمــانْ ودم بــخــيــر ســالــمــا فــي أمــانْ
مــا اســمٌ تَــرى بــالــعــيــن أحــرفَــهُ خَــمْــسًــا إذا مــا بَــرَزَتْ لــلــعــيــان
حــتــى إذا أســقــطــتَّ أوّلــهــا بــقــى مــنــه بــعــد ذاك ثــمــان
فــاعــمِــل الــفــكــرة كــيــمــا تُــجِــبْ عــنــه ســريــعــا يــا أديــب الــزمــان

هـ[175]

---

(1) أي: متصل كثير. مؤلف. وقد تؤخذ بمعنى القاصي البعيد المنال. مصحح.

16 - لغز أبي العباس الهلالي

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وقلت مجيبا عن لغز أبي العباس الهلالي المشهور، ونصه:

يـا أيـهـا الـمـبـرَّزُ الـمُـبـرِّزُ لِـمـا اخـتـفـى، والـجـامـعُ الـمُـحَـرِّزُ
مـا مُـضْـمـر يـرفـعـه مُـضْـمَـرُ مـسـتـتـر فـيـه ولا يـبـرز؟
إيـاك أن يـخـفـى عـلـيـك وقـد أبـان خُـبْـأَهُ لـكـل الـمـلـغـز

ونص جوابه:

جـوابَ هـذا الـلـغـز خُـذْه عـلـى نـهـج الـصـواب أيـهـا الـمُـلْـغِـزُ
إيـاك فـي الـتـحـديـد وهـي ضـمـيـر رفـعـت آخـر لا يـبـرز

هـ[176]

17 - لـغـز الإمـام

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وقلت ملغزًا في مسألة فقهية:

يـا حـافـظ الـمـذهـب أعـربْ لـنـا عـن صـورة تـحـار فـيـهـا الـفـكـر
عـن مـقـتـد زالـت عـمـامـتـه فـبـطـلـت عـلـيـه معْ مـن حـضـر

وأجبت عنه بقولي:

ذا مـقـتـدٍ فـي جُـمْـعـةٍ مـاسـحٌ عـلـى عـمـامـةٍ لأجـل الـضـررْ
وبـيـنـمـا هـو بـأثـنـا الـصـلا ة سـقـطـت، وهْـو ثـانـي عـشـر
فـانـتـقـض الـوضـوء إذ سـقـطـت فـبـطُـلـت عـلـيـه معْ مـن حـضـر

هـ

* الضمير يعود على الصلاة المفهومة من قولنا: مقتد.[177]

18 - لـغـز الـشـفـع

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: وقلت ملغزًا في مسألة فقهية:

أيـهـا الـعـالـم بـالـفـقـه أجـبـنـي عـن بـيـتٍ كـعـقـد قـد نُـظِـمْ

أيُّ وتـر سـبـق الـشـفـع، وصـحّـا جـمـيـعـا، بـجـواب قـد نُـظـم؟

وأجاب عنه الشريف الفاضل سيدي علي الدمناتي بما نصه:

وأهـلٌ بـالـشـفـع وتـرا واقـتـدى بـه مـسـبـوقٌ لـه الـفـصـل عُـلـمْ
فـاتـت الأولـى وثـانـيـهـا، بِـذا أهـل فـاس لـغَّـزوا لـغـزا مـهـم

[178]هـ

19 - لـغـز الهالكــة

قال سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني: "لغز في مسألة فقهية لكاتبه حفظه الله:

أفـيـدوا مـعـشَـر الـفـقـهـاء شـخـصـاً جـوابًـا كـامـلَ الـمـبـنـى بـديـعـاً
فـتـاة أمـهـا هـلـكـت فـقـلـنـا بـفـسـخ نـكـاحـهـا والـزوج بـيـعـا

جواب له أيضا:

أيـا مـن فـكـرُهُ مـلـكَ الـبـديـعـا فـأودعَ نـظـمَـه مـنـه الـبـديـعـا
جـوابُـك: أن هـذا الـزوج رق لـمـن هـلـكـت لـذا بـانـت وبـيـعـا

[179]هـ

20 - عــزاء

كتب سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني من فاس إلى المدينة المنورة لأخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني بتاريخ يوم الأربعاء 2 جمادى الثاني عام 1329هـ واصفا أوضاع المغرب وما آلت إليه من تدخّل المستعمر الفرنسي في شؤونه واستهلها بهذين البيتين:

غـربَـتْ شـمـسُ مـغـربْ ومـحـتْ نـورَهُ الـظُّـلَـمْ
جـبـر الله كـسـره وجـلا عـنـه مـا ألـم

[180]هـ

21 - الهمـــوم

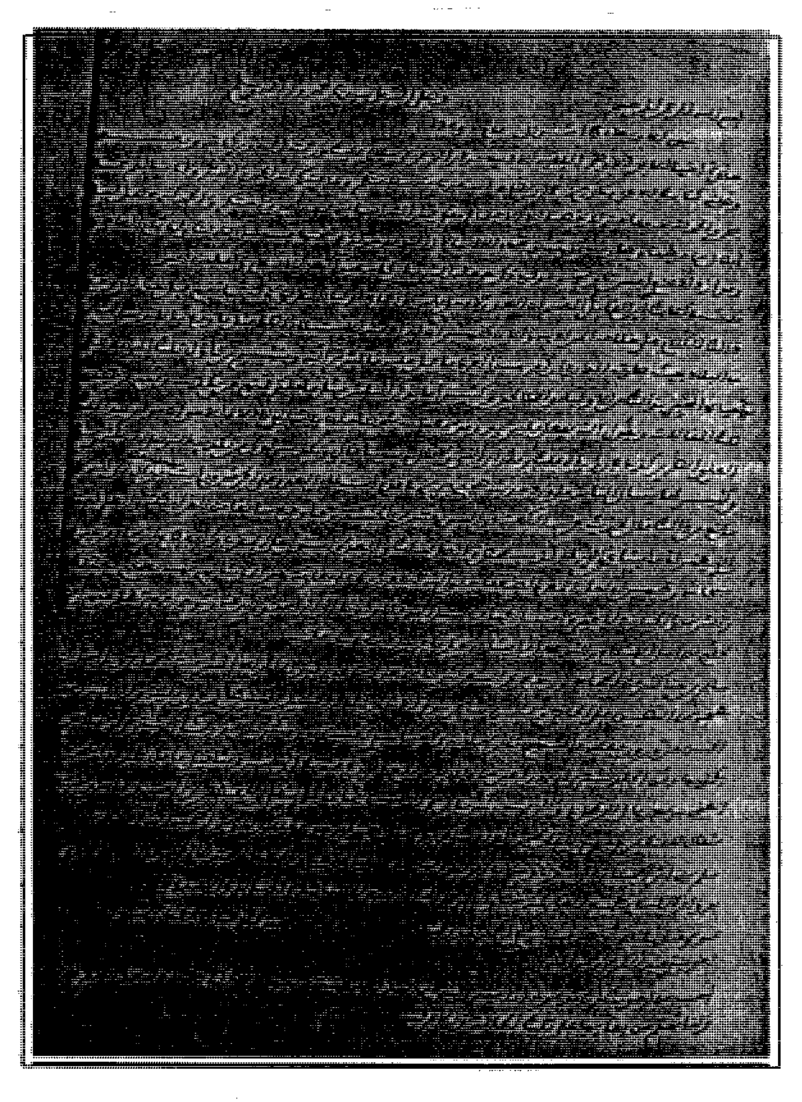
تكاثرت الهموم على شاعرنا سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني وألمه على بلاده، فأنشأ هذين البيتين معزّيًا بهما نفسه، ويظهر أنهما آخر ما كتب من شعر. يوجد هذان البيتان في آخر كناشته، رحمه الله، قال: ولكاتبه عفا الله عنه:

أمـــاتَ داءُ الـــهـــمـــوم شِـــعـــري   فـــمـــا لـــه بـــعـــدَ ذا حـــيـــاةْ
كـــأن مـــا أبـــتـــغـــيـــه مـــنـــه   مـــن الـــبِـــلا أعـــظُـــمٌ رفـــاتْ

[181]هـ

ملحق

نموذج من خط سيدي عبد الرحمن الكتاني وهو رسالة أرسلها لابن أخيه العلامة محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني من فاس إلى المدينة المنورة بتاريخ 18 شوال 1329/ 1911.



فهرس المحتويات

الفصل الرابع

مدح الرسول ﷺ وآل بيته الكرام ومدينته العامرة

الفصل الخامس في والده وبعض أقربائه

الفصل السادس

في أخيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني

الفصل السابع

في الشيخ ماء العينين الشنجيطي

الفصل الثامن

في الشيخ أبي العباس أحمد بن الشمس

الفصل التاسع

في المحبة والحكم

الفصل العاشر

متنوعات